ذوو الاحتياجات الخاصة بين المفهوم والجذور والرعاية الشرعي

الباحثة زينب حسن شيحان
ا.د. ايمان حسن مجيسر
كلية التربية / جامعة ميسان

يُعدّ موضوع رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من القضايا الإنسانية والاجتماعية البارزة التي حظيت باهتمام المجتمعات عبر العصور، وقد تميّز المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام وحتى نهاية عام ٤٠هـ بوضع أسس واضحة لرعاية مختلف فئات المجتمع، ولا سيّما الفئات الأكثر حاجة، وفي مقدّمتهم ذوو الاحتياجات الخاصة، بما يضمن حمايتهم ودمجهم في المجتمع، ويهدف هذا الفصل إلى إبراز الجهود التشريعية والممارسات التطبيقية التي أسهمت في تحقيق الدمج المجتمعي لهذه الفئة، وذلك بالاعتماد على المصادر التاريخية الموثوقة وكتب السيرة النبوية التي تجسّد المبادئ الإنسانية التي أرسى الإسلام دعائمها في رعاية الضعفاء وأصحاب الاحتياجات الخاصة.

وقد قُسّم هذا الفصل إلى أربعة مباحث رئيسة، درس المبحث الأول: ذوو الاحتياجات الخاصة: المفاهيم العامة لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ، أما المبحث الثاني فقد تطرق الجذور التاريخية للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، أما المبحث الثالث فقد ورد فيه دراسة ذوو الاحتياجات الخاصة في القرآن الكريم والسنة النبوية، كما أشار المبحث الرابع الى موقف الشرع الإسلامي من ذوي الاحتياجات الخاصة.

وتبرز أهمية هذا الطرح الأكاديمي في كونه لا يقتصر على تناول الجوانب النظرية والتشريعية فحسب، بل يسعى إلى الكشف عن الأبعاد التطبيقية والعملية للرعاية، بما يعكس قدرة الدولة الإسلامية في تلك الحقبة على وضع نموذج متقدّم لاحتواء ذوي الاحتياجات الخاصة وضمان مشاركتهم الفاعلة في بناء المجتمع، وهو ما يمثّل ركيزة أساسية من ركائز العدالة الاجتماعية في التصوّر الإسلامي.

المبحث الأول

المفاهيم العامة لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة

أولا : مفهوم الرعاية في اللغة والاصطلاح

الرعاية لغة: الراء والعين والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على حِفْظٍ ورَعْيٍ وصِيانَةٍ، ومنه الرِّعايَةُ[١]، والرعاية هي الحِفظُ، يُقال: رَعاهُ يَرْعاهُ رِعايَةً إذا حَفِظَهُ، ويُقال: هو في رِعايةِ اللهِ، أي في حِفْظِه وصِيانَتِه[٢]، وقيل :

(١) أبن فارس، مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٤٥٤.
(٢) الزبيدي، تاج العروس،ج٢٤، ص ٣٧٥.

رَعاهُ يَرْعاهُ رِعايةً أي حَفِظَهُ، وصانَهُ، وراعاهُ: لاحَظَهُ، واعتنى به[١]، الرِّعايَةُ: الحِفظُ والصِّيانةُ، يُقال: رَعَى الشيءَ يَرْعاهُ رِعايَةً إذا حَفِظَهُ وصانَهُ[٢]، وترد الرعاية كذلك بمعاني: الاهتمام، والعناية، والتدبير، والكفالة، والضمان[٣]، وكلّها تدور حول تحقيق المنفعة للمَرعيّ وصيانة مصالحه.

وبناءً على ما ورد في كتب المعاجم اللغوية، فأن الرعاية في اللغة: هي الحفظُ والصيانةُ والاعتناءُ بالشيءِ أو الشخص، مع المتابعة والملاحظة المستمرة لما يُرعى، بقصد صونه وحمايته وضمان سلامته.

الرعاية في الأصطلاح: حفظ مصالح الناس، وقياماً على شؤونهم بما يُحقّق لهم الأمن والعدل والصلاح في الدين والدنيا، وهي بذلك جزء أصيل من مقاصد الشريعة التي تهدف إلى ضمان كرامة الإنسان واستقراره[٤].

كما عُرفت بأنها مجموعة العمليات المنظَّمة التي تؤدي وظيفة أساسية في المجتمع، وتقدّم برامج وخدمات لجميع أفراده، اعتماداً على سياسات محددة تُعدّها الدولة وتوجِّهها للأفراد والجماعات والمجتمعات، وتهدف هذه الرعاية إلى تلبية الاحتياجات الأساسية، ولا سيما ما يحتاج إليه الشخص ذو الإعاقة من الأمن، والاطمئنان، والرعاية الصحية، وفرص العمل، وحفظ الحقوق، والمكانة الاجتماعية، بحيث يؤدي غياب هذه الاحتياجات إلى الشعور بالإحباط وما يرافقه من ارتباك وخجل، وتشمل الرعاية كذلك حاجته إلى القبول الاجتماعي، والشعور بالعدالة، وتحقيق الذات واحترامها[٥].

ومن المعنى اللغوي والاصطلاحي يظهر ان الرعاية هي الاهتمام المتواصل والقيام بخدمات منظمة تهدف إلى حفظ وصيانة وحماية شيء أو فرد أو جماعة، مع المتابعة والملاحظة المستمرة لما يُرعى، وتوفير العناية والدعم المادي والمعنوي اللازمين، وصونه وتنميته وحمايته من المخاطر، وتحقيق سلامته وتكيفه السليم في بيئته، سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي، والاقتصادي، والإداري، والعسكري، والعلمي.

ثانيا: مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة في اللغة والاصطلاح

١. ذوو الاحتياجات الخاصة في اللغة : تُعدّ عبارة "ذوو الاحتياجات الخاصة" تركيباً لغوياً مركّباً يتألّف من مفردات عدّة مترابطة، لا يُفهم معناها الكامل من أي كلمة على حدة، بل يتكوّن مدلولها عند اجتماع هذه الكلمات معًا. ويضم هذا التركيب ثلاث مفردات رئيسة، تمتلك كلّ واحدة منها دلالة لغوية مستقلة تُسهم في بناء المعنى الشامل للعبارة. .

ذوو : جمع مذكّر سالم لكلمة " ذو"، وهي تعني صاحب أو مالك الشيء، ويُستخدم للدلالة على جماعة من الأشخاص الذين يمتلكون صفة أو يتصفون بأمر معيّن، فمثلاً، ذوو الاحتياجات تعني أصحاب الاحتياجات[٦] .

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ج٤، ص ٥٨.

(٢) أبن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٢٩٣.

(٣) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص٩٠٩.

(٤) القرضاوي، الرعاية في الشريعة الاسلامية ، ص٣٣.

(٥) السكران، دور الوقف في رعاية المعوقين، ص٣٤٣.

(٦) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦، ص ٢٥٥١.

الاحتياجات جمع " احتياج"، ويُقصد به ما يفتقر إليه الإنسان ويطلبه، وقد ورد أنّ والاحتياج هي ما يحتاجه الفرد ويسعى للحصول عليه[١]، والأحتياج : وهو مصدر يدل على الحاجة أو الفقر إلى أمرٍ ما، أي انها المتطلبات أو الضرورات التي لا يكتمل الأداء الطبيعي من دونها[٢].

الخاصة: صفة نعت تميّز الاحتياجات بأنها محددة أو مميّزة لفئة معينة، من الجذر(خَصَصَ) بمعنى التخصيص والتمييز، وهي الصفة المميَّزة أو المحدَّدة بفئة معيّنة دون غيرها[٣]، والخاصة هم ما يخالف العامة، ويُستعمل فعل اختصّ للدلالة على التمييز والافتقار إلى شيء محدّد[٤].

وبناءً على هذا التحليل اللغوي، يتضح أنّ عبارة " **ذوو الاحتياجات الخاصة** " تشير إلى فئة من الأشخاص الذين يفتقرون إلى بعض الأمور التي يحتاجون إليها، أو يُطلب لها توفير ما يحقق احتياجاتهم الخاصة، مما يبرر اعتبار التركيب مركبا لغويا يحمل معنىً واحداً متكاملاً.

٢- ذوو الاحتياجات الخاصة في الاصطلاح:

ذكر أن أول من استعمل مفهوماً يُقارب ما يُعرف اليوم بـ"ذوي الاحتياجات الخاصة" هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وذلك في عهده إلى مالك الأشتر، حيث ورد هذا المفهوم بصيغ متعددة، منها: "ذوي الحاجة والمسكنة"، و"أهل الحاجة والمسكنة"، و"ذوي الحاجات"، وقد تكرر استعمال هذه التعابير ثلاث مرات في نص العهد.

ويمكن القول إن مصطلح ذوي الاحتياجات الخاصة يجد له جذوراً في الاستعمالات اللغوية والفكرية في العصور الإسلامية، إلا أن الصياغة الحديثة للمصطلح قد شهدت تطوراً دلالياً، تمثل في إضافة لفظة "الخاصة" أو إحلالها محل لفظة "المسكنة"، بما يعكس تحولاً في النظرة الاجتماعية والإنسانية تجاه هذه الفئة شهدت الأدبيات التربوية الحديثة تطورا ملحوظا في المصطلحات المرتبطة بالأفراد الذين لديهم إعاقات أو احتياجات خاصة؛ إذ كانت التسميات القديمة تحمل دلالات سلبية قد تُشعر الفرد بالنقص، ومع تطوّر الفكر التربوي، برز "مصطلح ذوو الاحتياجات الخاصة" بوصفه توصيفا أكثر إنسانية يركّز على دعم الفرد واحتياجاته الواقعية دون الإيحاء بالعجز، وقد اعتمد المؤتمر القومي الأول للتربية الخاصة عام ١٩٩٥م هذا المصطلح بشكل رسمي في وثيقته الختامية، مؤكّداً أنه يشمل الأفراد الذين يحتاجون إلى خدمات تربوية أو علاجية خاصة تساعدهم على النمو والتعلم والتوافق مع الحياة اليومية[٥].

وفي العقدين الأخيرين ظهر في الخطاب التربوي والإعلامي مصطلح "ذوو الهمم" بوصفه مصطلحاً حديثاً يهدف إلى تعزيز الصورة الإيجابية عن الأشخاص ذوي الإعاقة عبر التركيز على إرادتهم وإنجازاتهم بدلاً من إعاقتهم،

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٧٧.

(٢) الفيروزآبادي،القاموس المحيط، ج١، ص١٥٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج ٢، ص ١٩٢.

(٤) أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط ،ج١،ص ٢٠٤.

(٥) المؤتمر القومي الأول للتربية الخاصة، ص ٢٢.

ويستند هذا المصطلح في جذره اللغوي إلى معنى الهمة التي عرفها ابن منظور[١] بأنها:" لعزيمة القوية والإرادة الصلبة التي تدفع المرء إلى السعي والنجاح"، وهو ما يوضح أن استعماله الحديث جاء لإبراز القوة الداخلية التي يمتلكها الفرد وليس الإشارة إلى إعاقته.

وأشارت أحدى الدراسات الحديثة إلى أن مصطلح "ذوو الهمم" لا يُعَدّ بديلاً علمياً لمصطلح "ذوو الاحتياجات الخاصة"، بل يُستخدم بوصفه توصيفاً تحفيزياً يعزز ثقة الشخص بنفسه ويشجع على دمجه في المجتمع عبر إبراز قدرته على الإنجاز رغم التحديات، وقد أكدت دراسات التعليم الشامل الصادرة عن المجلس العربي للطفولة والتنمية أهمية هذا المفهوم في رفع الدافعية الذاتية للفرد وتعزيز مشاركته الفاعلة[٢]. وعُرف ذوو الأحتياجات الخاصة بأنهم أشخاص ابتلاهم الله تعالى بنوع من البلاء يحدّ من قدرتهم على أداء بعض الأمور التي يقوم بها الأصحاء أو على إتقان بعض المهن[٣].

ومن المعنى اللغوي والاصطلاحي يتضح إن عبارة "ذوي الاحتياجات الخاصة" تدل على خصوصية الحاجة وتميّزها، وتنصرف إلى فئة من الأفراد تختلف قدراتهم عن المألوف، ويعترض مسار حياتهم عوائق جسدية أو حسية أو عقلية أو سلوكية، الأمر الذي يستدعي تهيئة بيئية وبرامج وخدمات تمكّنهم من النمو والتعلّم واكتساب المهارات والتكيّف مع متطلبات الحياة اليومية والأسرية والمهنية، ومن هذا المنطلق يتّضح أنّ مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة أوسع من مفهوم الإعاقة التقليدي، يشير مصطلح " ذوي الاحتياجات الخاصة" إلى فئة واسعة من الأفراد قد يواجهون قيوداً بدنية أو عقلية أو حسية أو نفسية تستدعي توفير رعاية ودعم يضمنان مشاركتهم الفاعلة في المجتمع، مع صون كرامتهم وتعزيز استقلاليتهم.

ويتسع المفهوم ليشمل حالات متنوعة لا تقتصر على الإعاقات الدائمة، بل تمتد إلى من يواجهون تحديات صحية أو نفسية مؤقتة أو مزمنة تؤثر في حياتهم اليومية، مثل ذوي الإعاقة البصرية والحركية، وكذلك كبار السن الذين تتراجع قدرتهم تدريجيا على الحركة وأداء الأنشطة الاعتيادية بفعل التقدّم في العمر[٤].

وعيله يرى الباحث أن لاختيار المصطلح أثرا بالغا في حياة الأفراد ذوي الإعاقة؛ فالألفاظ التقليدية قد تخلّف آثاراً نفسية سلبية تدفع إلى الإحباط والانطواء وربما العزلة عن المجتمع، ما يُفضي إلى تكوين صورة ذاتية عاجزة تجاه النفس والأسرة والبيئة المحيطة، ويُشير إلى أنّ هؤلاء الأشخاص، سواء كانت إعاقتهم ناتجة عن عوامل وراثية أو مكتسبة، يواجهون صعوبات في التعلّم واكتساب المهارات وأداء الأنشطة التي يمارسها أقرانهم من الفئة

(١) لسان العرب،ج ١٤، ص٣٧٠.

(٢) المجلس العربي للطفولة والتنمية، ص ١٥-١٦.

(٣) شحاته، تعظين الوحيين، ص٢١٨.

(٤) القدومي، حقوق المعاق في الشريعة الإسلامية ، ص٢.

العمرية نفسها ومن ثمّ يُعدّ استخدام المصطلح الحديث " ذوو الاحتياجات الخاصة" الخيار الأمثل؛ لما يحمله من دلالات إيجابية تركز على الدعم والتمكين بدل النقص والعجز.

ثالثاً : فئات ذوي الاحتياجات الخاصة

تعد فئة ذوي الاحتياجات الخاصة أحد الفئات المهمة في المجتمع؛ لما لهم من حقوق واحتياجات خاصة تتطلب تقديراً وفهماً دقيقين، وللتعامل معهم بشكل صحيح، من الضروري أولاً الوقوف عند دلالات المصطلح وتطوره عبر الزمن، قبل ظهور مصطلح "ذوي الاحتياجات الخاصة"، وقد أستخدمت المجتمعات تسميات مختلفة تركز على العجز الجسدي أو القصور العقلي، وتعكس هذه التسميات رؤى ثقافية واجتماعية متنوعة، ويظهر من ذلك كيف تطور فهم المجتمع لهذه الفئة، من التركيز على النقص إلى الاعتراف بحقوقهم وقدراتهم، مما شكل الأساس لمفهومهم الحديث.

١. المعاقون :

الإعاقة لغة : يُستَعمل الفعل" عاق" في اللغة بمعنى الحبس والمنع، فيُقال: عاقه عن كذا أي منعه وأبعده عنه، ويُشتق منه الفعل "يعوق" للدلالة على الحبس أو التثبيط، وتُستعمل كلمة "العوائق" للدلالة على الشواغل أو العراقيل التي تُحدثها حوادث الدهر(١)، وترد صيغ المبالغة مثل "عَوَّقَه" لتُعبّر عن كثرة المنع وتجدّد وقوعه، فيُقال: يعوقه عَوْقًا أي يستمر في منعه وتعويقه(٢).

أما في الاصطلاح: يُعرَّف العوق بأنّه كلُّ نقصٍ بدنيّ أو حسيّ أو عقليّ، أيًّا كان مصدره، سواء نتج عن إصابة طارئة، أو مرضٍ مزمن، أو عيبٍ خِلقي، أو عجزٍ ولادي، وهو ما يحول دون قدرة الفرد على ممارسة عمله الأصلي أو أداء عملٍ بديل بصورة مستقلة ومن ثَمَّ، تقتضي الدقة العلمية التمييز بين الإعاقة تبعا لأسبابها؛ فقد تكون ناتجة عن حادثٍ أو مكتسَبة لاحقًا، وقد تكون ولادية منذ الولادة(٣).

وعلى هذا الأساس تُفهم الإعاقة باعتبارها خللاً يَحول دون قيام الشخص بالمهام التي تقتضيها الوظائف الجسدية أو العقلية، الأمر الذي يترتب عليه عجزٌ جزئي أو كلي لدى الشخص المعاق، كما أنّ جميع الأفراد الذين يعانون عجزا جزئيا أو كليا، سواء كان وراثيا أو مكتسباً بفعل العوامل البيئية كالحروب والحوادث، يواجهون تأثيرا سلبيا واضحا في أدائهم لأدوارهم الطبيعية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والنفسية، الأمر الذي يحدّ من قدرتهم على ممارسة نشاطاتهم الذهنية بصورة طبيعية ويجعلهم في حاجة مستمرة إلى دعمٍ خارجي.

(١) أبن منظور، لسان العرب،ج١٠،ص٢٧٩.

(٢) الفراهيدي، العين، ج٢، ص١٧٥.

(٣) ابو نصر، الاعاقة الجسمية، ص٢١.

٢. أصحاب العاهات :

العاهة لغة : هي الآفة أو العيب الذي يُصيب الإنسان في بدنه أو حواسه، ويُقال في الجمع عاهات[١]، ويقال للرجل معيه ومعوه في نفسه او ماله اصابته عاهه[٢].

أما في الاصطلاح: هي عيب يرجع الى العجز الذي يمنع الفرد او يحد من قدرته على دوره الطبيعي بالنسبة للسن والجنس والعوامل الاجتماعية والثقافية[٣].

كما عرفت بأنها قصور جسمي او نفسي او عقلي او خلقي يمثل عقبه في قيام الفرد وواجبه في المجتمع ويجعله قاصرا عن الافراد الاشياء الذين يتمتعون بسلامه الاعضاء وصحه وظائفها[٤]، ويقال انها تعطيل عضوا او اكثر من الاعضاء الداخلية للجسم من القيام بوظائفها نتيجة لأسباب وراثيه او مكتسبه[٥]، وهي المرض الدائم او العجز دائم في بعض الاعضاء[٦] .

ويتضح بأن العاهة هي خلل في وظيفة الجسم أو العقل يؤثر على قدرة الفرد على ممارسة حياته الطبيعية، وقد تنشأ نتيجة عوامل جسدية، عقلية، عصبية، وراثية، أو بيئية، فالعاهة الجسدية تعيق أداء الأعضاء لوظائفها الطبيعية، بينما العاهة النفسية أو العقلية تشمل الإصابات المستديمة التي تؤثر على الكفاءة الذهنية أو النفسية، ويُعدّ فهم المرادفات والدلالات المرتبطة بالإعاقة خطوة أساسية لتصنيفها، سواء كانت جسدية، عقلية، حسية، أو نفسية، بما يعكس أبعادها اللغوية والاجتماعية والدينية، ويساعد على إدراك مكانة ذوي الاحتياجات الخاصة ودورهم في المجتمع.

٣. أولي الضرر:

ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٧]، ويشير إلى الذين لديهم عذر شرعي أو جسدي يمنعهم من المشاركة في الجهاد، وقد ورد في تفسير هذه الآية أن "لضرر في هذه الآية يمثل النقص في القدرة أو الوجود الذي يمنع الشخص من الجهاد، مثل العمى، العرج أو المرض[٨]، كما أن أولي الضرر استُثنوا من القاعدين الذين يُلامون

(١) ابن سيده، المخصص، ج٣، ص٢٩٣

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٥٢٠.

(٣) ملكيه، الاعاقات العقلية، ص٦.

(٤) عبد المجيد، تنمية الاطفال والمعاقين، ص٩.

(٥) ماجده، رعاية الاطفال المعاقين حركيا، ص١٢.

(٦) قلعجي، لغة الفقهاء، ص٣٠٢.

(٧) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٨) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،ج٥، ص٣٨٣.

على التقاعس؛ لأن لديهم سببا حقيقيا يمنعهم من المشاركة في الجهاد[١]، ويُفهم هذا الضرر على أنه علل جسدية أو صحية تحجب عنهم الجهاد.

٤. أهل البلاء :

يُعدّ هذا مفهوم أهل البلاء من المصطلحات التي استُخدمت للدلالة على الأشخاص الذين يُصابون بامتحانٍ أو محنةٍ ظاهرة في أجسادهم أو أحوالهم، وقد ورد أن معنى البلاء هو الاختبار الإلهي بالمرض أو النقص أو المشقة، وأن "المبتلى" هو من وقع عليه هذا الامتحان، سواء كان البلاء في بدنه أو حاله[٢]، ومن خلال هذا التحديد اللغوي يظهر أن الإعاقات والعاهات الجسدية—كالعمى، والعرج، والأمراض المزمنة، وفقد بعض القدرات—تدخل ضمن دائرة البلاء الذي يُصيب الإنسان في بدنه.

والجدير بالذكر أن قوله تعالى :﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[٣] يُبرز مشهداً من مشاهد الابتلاء الجسدي الذي أصاب نبي الله أيوب(عليه السلام)، وقد ورد أن هذا الضُّرّ هو المرض والبلاء في الجسد، كما أن الضرر الذي أصاب أيوب(عليه السلام) كان من أشد الابتلاءات البدنية التي يختبر الله بها عباده[٤]،و رغم أن لفظ البلاء لم يرد صريحا في هذه الآية، إلا أن التفسير يوضح أن الضرّ الواقع على أيوب هو من جوهر مفهوم البلاء القرآني، وهو الامتحان الإلهي بالمرض ونقص القوة ومن خلال التفسير يتضح أن مفهوم البلاء في السياق القرآني يشمل بوضوح المرض، ونقص القوة، والعلل الجسدية، وهو ما يجعل الابتلاء البدني—ومن ضمنه الإعاقة—أحد أبرز مصاديق البلاء الذي يرفع درجات المبتلَى ويثيبه الله على صبره وثباته.

وبناءً على الدلالة اللغوية والتفسيرية معاً، يمكن الاستنتاج بأنّ مصطلح أهل البلاء يشمل بصورة مباشرة ذوي الإعاقات الجسدية والعقلية؛ لأنهم نموذجٌ واضح للابتلاء الجسدي الذي تحدثت عنه كتب اللغة والتفسير، مما يجعلهم فئة معتبرة ضمن سياق البلاء.

٥. أهل الاعذار:

يُشير هذا المصطلح إلى الأشخاص الذين يمتلكون مانعاً شرعاً أو جسدياً يمنعهم من أداء بعض الواجبات على نحوها الكامل، من الناحية اللغوية مصطلح العذر بأنه: ما يُخفف من التكليف بسبب علة أو مانع ظاهر، ويشمل ذلك المرض، النقص، أو أي سبب يحول دون القيام بالواجبات[٥].

(١) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج١، ص ٤٨٦.

(٢) أبن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٣٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٤) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٤، ص ٨٢.

(٥) أبن منظور، لسان العرب،ج١، ص ٣١٢.

أما المعنى الفقهية لمصطلح الأعذار هم من يُستثنى من بعض التكليفات الشرعية بسبب عجز حقيقي أو قصور في القدرة الجسدية أو العقلية، وقد استند على هذا التصنيف في تحديد الأحكام المخففة أو البدائل التي تجيز للمعذور أداء ما يقدر عليه دون الإخلال بالواجب الشرعي، ويشمل ذلك فئات ذوي الإعاقات الجسدية أو العقلية التي تحول دون القيام بالفرائض على نحوها الكامل(١).

وبذلك، يظهر أن مصطلح أهل الأعذار يجمع بين المعنى اللغوي والفقهي، ويؤكد على ضرورة مراعاة الحالات الخاصة للمكلّف، كما يربط بين العذر الشرعي أو الصحي وبين التخفيف أو الرخصة في أداء الواجب، بما يشمل ذوي الاحتياجات الخاصة، من الناحية العملية والاجتماعية.

٦. الضعفاء

يشير هذا المصطلح الضعفاء إلى الأشخاص الذين تضعف قدراتهم البدنية أو العقلية أو النفسية عن القيام بالمهام الملقاة عليهم، ويشمل ذلك العجز عن الدفاع عن النفس أو أداء واجبات اجتماعية محددة، وقد عرف ابن منظور(٢) الضعف بأنه: "نقص القوة، سواء في الجسد أو العقل، مما يمنع صاحبه من أداء ما هو قادر عليه عادة".

كما عرف الضعفاء في الفقه بانهم من يستثنى الشرع من أداء بعض الواجبات أو يُخفف عنه تكاليفها بسبب قصور حقيقي في القدرة الجسدية أو العقلية، أو نتيجة الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية التي تعوقه عن القيام بواجبه الكامل(٣)، ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار بعض الفئات من ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن دائرة الضعفاء، خصوصا من يعانون إعاقات جسدية أو عقلية تحد من القدرة على أداء الفروض الدينية أو الاجتماعية.

٧- الفقراء :

مفردها فقير وهو الذي لا يملك كفايته وكفاية عياله فيدخل فيه العاجز بدلا وعقلا (الطوسي ،الجامع لأحكام القرآن، ج٨،ص١٧٧بمعنى الحاجه والمحتاج ليس له مال ولا كسب لائق به من مطعم ومشرب وملبس ومسكن (الدسوقي شرح الكبير الجزء الاول صفحه ٤٩٢ ويقال رجل فقير الى العلم اي بحاجه اليه(الفيومي، المصباح المنير ،ج٢،ص٤٧٨ كقوله تعالى (انتم الفقراء إلى الله) (سوره فاطر، الآيه ١٥(اي المحتاجين اليه

كماذكر ابو بكر الجزائري الفقير المعدم الذي اسكنته الحاجه فلم يقدر على التصرف (أيسر التفاسير ،ج١،ص١٥٢

(١) الشيرازي، الشرائع الإسلامية، ج١،ص٧٨.

(٢) لسان العرب،ج٣، ص١٤٥.

(٣) الشيرازي، الشرائع الإسلامية،ج١، ص٨٢.

والفقراء ممن لا يستطيعون العمل لعاهه فيهم او لا يقدرون معها على العمل (نذير هارون الزبيدي ذوي الاحتياجات الخاصه وفاءاتهم في عهد الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر ،ص ٧٩ س

٨. المساكين :

مفردها مسكين والمسكين الخاضع الضعيف ومن ليس عنده ما يكفي عياله (نذير هارون الزبيدي ذوي الاحتياجات الخاصه وفئات في عهد الامام علي لمالك الاشتر صفحه ٧٧ المسكين ،من له ما لا يكفيه وقد يطلق على من له عاهه تمنعه من العمل (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٨،ص١٧٨ومن سكنت به الحال عن التكسب سواء بعجز او سبب ظاهر (الجاحظ ،التبيان ،ج٥،ص٢٦٦_

كقوله تعالى (اما السفينه فكانت لمساكين (الكهف، الآيه ٧٩

٩. المحتاجون :

ومفردها محتاج والمحتاج من به حوج وافتقارا ورجل محتاج مفتقر معوز المحتاج الى من يساعده وتختلف المساعده ونوعه باختلاف الحاجه حيث عرفها اخرون بانها حاله العوز او النقص النفسي لدى الكائن العضوي كليا او جزئيا التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع المتغيرات البيئيه والتي تخلق له احساس بالتوتر وعدم الراحه واختلال في التوازن العضوي والنفسي وظهور أنماط سلوكيه تتعارض ومعايير الجماعه (د. الهام فاضل عباس، الوحده النفسيه وعلاقتها بالحاجات النفسيه ،ج٣٢ ص٣١٨

رابعاً : أنواع الإصابات والإعاقات :

يُعَدّ تتبّع المرادفات والدلالات اللغوية خطوة أساسية لفهم التصنيفات المرتبطة بأنواع الإعاقات، والتي تتنوع بين الجسدية والعقلية والحسية والنفسية، فلكل نوع من هذه الإعاقات منظومة من الألفاظ والعبارات الخاصة به،

تحمل في طياتها أبعاداً لغوية، ومن هنا تأتي الحاجة إلى دراسة دقيقة لهذه المصطلحات باعتبارها مفاتيح لفهم أعمق لطبيعة الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، ومن أبرز هذه الأنواع :

١. المجنون: وصف يُشير إلى حالة تصيب الدماغ فتدفع الشخص إلى القيام بأفعال تتعارض مع مقتضى العقل(١)، ويُقال أيضاً لمن فقد عقله أو فسد عقله: "غير عاقل"، ويظهر الجنون في التصرفات غير الرشيدة وغير المنهجية وفق نهج العقلاء، كما يُستخدم مصطلح "ملموم" للدلالة على المجنون(٢).

تشير المصادر إلى أن فئة المجنون تُعدّ من ذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك لوجود قصور وظيفي واضح في القدرات العقلية يؤثر على قدرة الفرد على إدارة شؤونه واتخاذ القرارات السليمة(٣)، وتتطلب هذه الفئة رعاية وإشرافاً خاصاً، سواء من الناحية المالية أو الاجتماعية، بما يضمن سلامتها وتمكينها من المشاركة الفاعلة في المجتمع، ويتوافق هذا التصنيف مع التعريف العصري لذوي الاحتياجات الخاصة، والذي يشير إلى أن من لديهم قصور طويل الأمد جسدي أو عقلي أو ذهني يُعدّون من ذوي الإعاقة، ويحتاجون إلى تيسيرات تمكّنهم من ممارسة حقوقهم بشكل كامل(٤).

٢. المعتوه : يُعرَّف بأنه شخص يعاني من نقص أو فقدان العقل، مصحوبًا بالدهشة والعته المدهوش، ما يؤدي إلى اختلال في وظائف الإدراك واتخاذ القرارات(٥)، ويدل الفقه الإسلامي على ذلك من خلال الحُجْر على المعتوه ووضع وليّ أو وصي لإدارة شؤونه(٦)، وهو مؤشر على وجود قصور وظيفي دائم أو طويل الأمد يؤثر على الحياة اليومية للفرد، ويتوافق هذا التصنيف مع التعريف العصري لذوي الاحتياجات الخاصة وفق اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة للأمم المتحدة (٢٠٠٦، المادة ١)، التي تشير إلى أن كل من لديه قصور طويل الأمد جسدي أو عقلي أو ذهني يؤثر على مشاركته الكاملة والفعالة في المجتمع يُعد من ذوي الإعاقة، ويحتاج إلى تيسيرات ودعم خاص لممارسة حقوقه بشكل كامل(٧).

٣. الهوس : هو درجة من الجنون أقل شدة من المعتوه، أي أنه الشخص الذي أصيب بالجنون بدرجة معينة دون أن يفقد إدراكه بالكامل، ويظل قادراً على بعض التعقل والتصرفات العقلائية، إلا أن ميوله وانفعالاته تتأثر

(١) ابن مالك، شرح منار، ج١، ص٩٤٧.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٩٥ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٢٠؛ المقري، المصباح المنير، ج٢، ص٤١٢.

(٤) اتفاقية حقوق الأشخاص لذوي الأعاقة ، ص٢.

(٥) المقري، المصباح المنير، ج٢، ص٤١٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٢٢.

(٦) ابن قدامة، المغني، ج٢، ص٥٠١.

(٧) اتفاقية حقوق الأشخاص لذوي الاحتياجات الخاصة ،ص٢.

بشكل ملحوظ[١]، ويُعد الهوس بذلك حالة وسيطة بين التصرفات العقلائية الكاملة والإعاقة الذهنية الشديدة، مما يجعله حالة ذات أهمية خاصة في دراسة الفروق بين أنواع الإعاقات الذهنية والعقلية.

٤. السفه: من الجذر س ف ه، ويُراد به من قلت حكمته وعقله أو أضاع رشده[٢]، والسفيه البالغ الذي لا يحسن التصرّف في ماله، إما بسبب ضعف العقل، أو الميل إلى الإسراف، أو عدم القدرة على تقدير مصلحته المالية[٣].

٥. العمى: يشمل مصطلح الأعمى جميع حالات فقدان البصر أو ضعف الرؤية، سواء أكان فقداناً كاملاً في كلتا العينين أو جزئياً، ويُعرف الأعمى بأنه فقدان البصر في كلتا العينين[٤] ، ويأتي ضمن هذا المصطلح المكفوف، أي من ذهب بصره، ويُعرف الجمع منه بـ"المكافيف"، ويقال عن الشخص الذي كُفّ بصره "كفَى" أو "ذهب بصره"[٥]، ويشمل أيضاً الأكمه، الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، ويُطلق على من يولد مطموس العينين[٦] ، والأعمش، الذي تظل عيناه تفرز الدمع باستمرار، لكنه لا يكاد يبصر بها، وهو ما يشير إلى ضعف الرؤية[٧]، وأخيرا الأخفش، الذي يستطيع الرؤية في الليل ولكنه يعجز عن الرؤية نهاراً[٨].

٦. العور: هو الشخص الذي فقد البصر بإحدى عينيه بينما بقيت الأخرى بصيرة، وهو بذلك عكس الأعمى الذي فقد البصر في كلتا العينين[٩].

٧. الحول: هو مرض وعيب في العين يؤدي إلى ضعف البصر[١٠]، ويظهر كاختلال في وضع العينين بحيث يظهر البياض في مؤخرة العين[١١].

٨.الجدع: يُقصد به في قطع عضوٍ ظاهر من الوجه أو الرأس، ويُطلق خصوصا على قطع الأنف أو الأذن أو الشفة، أو شيئا من أطرافه[١٢]، واستُعمل المصطلح قديما للدلالة على عقوبة أو تشويه متعمد يُلحق بالإنسان أو

(١) النيسابوري، عقلاء المجانين، ص١٩ .

(٢) أبن منظور، لسان العرب، ج١٨، ص٤٩٩.

(٣) ابن الآبي ، جواهر الأكليل،ج١، ص١٦١.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٣، ص١٥٥.

(٥) الفراهيدي، العين، ج٥، ص٢٨٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٣٠٣.

(٦) الحربي، غريب الحديث، ج٢، ص٤٨٣ .

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٣٢.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٣٢

(٩) ابن سيده، المخصص، ج١، ص١٥٩.

(١٠) ابن سيده، المخصص، ج١، ص٢٥٤.

(١١) الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص٢٦٦٨.

(١٢) أبن سيدة، المخصص، ج٤، ص٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٣ .

الحيوان بقصد الإهانة أو التأديب، فكان العرب إذا أرادوا المبالغة في إذلال العدو أو معاقبة الجاني جدعوه أي قطعوا أنفه أو أذنه ليبقى أثر العار ظاهراً [١].

٩. الأخرس: يُطلق على من خُلق بلا قدرة على النطق، وهو ذهابُ الكلام خِلقةً أو عَرَضا، ويُقال: كتيبةٌ خرساء إذا لم يُسمَع لها صوتٌ ولا جَلَبة[٢].

١٠. الابكم: هو من لسانه نطقٌ، لكن لا يعقل الجواب ولا يُحسن وجه الكلام، أي يعجز عن التعبير والإفصاح، ويُعدّ وصف الأبكم أعمّ من الأخرس، إذ يشمل من وُلد عاجزاً عن الكلام أو أصابه عارض ثانوي أفقده القدرة على النطق[٣] .

١١. اللثغ: عيبٌ يصيب اللسان فيُحْدِث خللاً في مخارج الحروف، فيتحوّل النطق من صوت إلى آخر؛ كتحويل السين إلى ثاء، أو الغين، أو اللام إلى ياء، وغيرها من التبدلات الصوتية[٤].

١٢. الأطرش: هو من أصيب بفقدان حاسة السمع جزئيا ، فلا يدرك الأصوات إدراكا تاما، ويستعمل اللفظ في العربية القديمة للدلالة على من به ضعف في السمع دون أن يبلغ درجة الصمم التام، فهو دون الأصمّ في شدّة الفقد السمعي[٥].

١٣. الصم: هم من انسدت منافذ سمعهم كاملة فلا يصغون إلى الأصوات، وشُبِّه بهم من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله، وتُعدّ حالتهم أشدّ من الطرش لما فيها من فقدان تام للإحساس السمعي[٦]، ويقترن الصمم غالباً بضعف في القدرة على الكلام وتعلّم اللغة، لارتباط مهارات النطق بالاكتساب السمعي[٧].

١٤.العرج: يُقصد بالعرج الشخص الذي أصابته آفة في إحدى رجليه فتجعله يمشي مائلا أو متعرجا، ويُقال عن البناء أنه "تعرج" إذا مال في السير أو في وضعه[٨]، ويُعرف على أنه موضع العرج في الرجل، ويُطلق على من أصيب بهذه الحالة أنه الأعرج[٩]، وقد وُصف أيضا بأنه من ذوي الساقين الدقيقة أو الضعيفة[١٠]، ويُعدّ الحنف من صور العرج، ويشير إلى ميل القدم أو الساق أو المشية غير المستقيمة نتيجة عيب خلقي أو آفة في الرجل أو أسفل العمود الفقري، فيؤدي إلى عدم توازن أثناء السير، بسبب أقبال القدمين كل واحدة على الأخرى أو

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الأسلام، ج٤، ص١٣٢.

(٢) الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٠، ص ١٦٣؛ الفراهيدي، العين، ج ٤، ص ١٩٥.

(٣) الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٥، ص ١٨٧٤؛ المصطفى، التحقيق في كلمات القرآن، ج ١، ص ٣٢٥

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ١٠٧.

(٥) الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ٤٣٠.

(٦) الرازي، مختار الصحاح، ج ١، ص ٤٣٠.

(٧) أمين، سيكولوجيّة ذوي الاحتياجات الخاصة، ص ١٣٨.

(٨) المقري، المصباح المنير، ج٢، ص٤٠١.

(٩) الجوهري، الصحاح، ج١، ص٣٢٨.

(١٠) ابن سيده، المخصص، ج٦، ص٢٥٥.

انقلاب القدم حتى يصير بطنها ظهرها[١]، وقيل حَنَف: هو ميل الإبهام على الأصابع الأخرى، مما يؤدي إلى المشي على عقب القدم[٢].

١٥. القُطُع : يُستعمل لفظ القُطُع – بضم القاف والطاء – جمعا لـ" أقطع " للدلالة على من قُطِعت يده أو رجله[٣]، يُطلق لفظ المعْضوب على من أصابته عاهة أو قطع[٤]، وأنَّ الفعل" عَضَبَه يَعْضِبُه عَضْبا" يعني قطعه[٥].

١٦. المشلول: ويطلق على من يَبَس أحد أعضاءه وتعطّلت حركته أو ذهاب نتيجة فساد العروق أو ضعفها بآفةٍ ما، مع بقاء الإحساس فيه[٦].

١٧. القزم : يُطلَق مصطلح الأقزام على الأفراد الذين يتميّزون بقصرٍ ملحوظ في القامة مع قِصَرٍ نسبيّ في الأطراف مقارنة بحجم الجذع[٧].

١٨. الأحدب : يُطلق وصفَ "الأحدب" على الشخص الذي يكون في ظهره انحناءٌ أو نتوءٌ ظاهر أو أرتفاع او اعوجاج[٨].

١٩. الأبرص: هو الشخص المصاب بداء البَرَص، وهو مرض جلدي يظهر على شكل بقع بيضاء على الجلد، ويُطلق على المصاب بهذا الداء لفظ أبرص، ويُجمع على برصانا أو برصة[٩]، وبحسب التصنيف الحديث لفئات ذوي الاحتياجات الخاصة، يُمكن إدراج الأبرص ضمن هذه الفئة إذا أدى المرض إلى قيود جسدية أو اجتماعية تحدّ من قدرة الشخص على أداء أنشطة الحياة اليومية أو المشاركة في المجتمع، لا سيما في الحالات التي يرافقها ضعف صحي عام أو مضاعفات تؤثر على الحركة أو النشاط البدني[١٠].

٢٠. ◌َ العجز: يُستعمل لفظ العاجز للدلالة على من ضعُف عن القيام بالأمر أو قصُر عنه قيل عجز عن الأمر يعجز عجزاً أي ضعف وتثبط[١١]، وذكر أنّ"أعجزه الشيء" تعني فاته ولم يدركه بسبب العمر[١٢]، أنّ

(١) أبن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٧٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج١٢، ص٣١٠.

(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج ١١، ص ٣٨٣؛ القلعجي معجم لغة الفقهاء، ص ٤٤٧.

(٤) الفراهيدي ،العين ،ج١،ص٢٨٣؛

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص ٢٨٣.

(٦) أبن منظور ، لسان العرب،ج٢، ص ١٤٥.

(٧) مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٣٣.

(٨) الجوهري، الصحاح،، ج ٢، ص ٥٠١؛ ابن منظور، لسان العرب،ج ١، ص ٣٤١.

(٩) مصطفى، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٠١.

(١٠) رضا، معجم متن اللغة، ج ٤، ص ٥٤١.

(١١) أبن منظور، لسان العرب،ج٥، ص ٣٦٩.

(١٢) الفيومي، المصباح المنير، ج ١، ص ٢٠٤ .

العجز هو التأخر عن الشيء والقصور عن فعله، وهو ضد القدرة[١]، ويمكن إدراج العاجز ضمن فئات ذوي الاحتياجات الخاصة إذا كان عجزه دائما أو طويل الأمد ويؤثر على قدرته في أداء الأنشطة اليومية أو المشاركة في المجتمع، إذ تشمل هذه الفئة الإعاقات الجسدية أو الحركية أو الحسية.

٢١. الزمانة: تُطلَق على المرض المزمن الذي يطول زمنه ويقوّض قدرة الشخص على القيام بأعماله المعتادة، وقد ذكر أنّ " القوم زَمَني" أي مرضى بالزمانة[٢] ، يُقال "أَزْمَن الله فلاناً" أي ابتُلي بالزمانة[٣]، و الزمانة هو المرض الذي يمنع الشخص عن العمل ويضعف حركته حتى لو كان شابًا[٤]، وبناءً على هذه التعاريف، يُمكن اعتبار المصاب بالزمانة من ذوي الاحتياجات الخاصة إذا أدى مرضه المزمن إلى قيد دائم أو طويل الأمد في القدرة على أداء الأنشطة اليومية أو المشاركة الفاعلة في المجتمع، إذ تُدرَج ضمن هذه الفئة الإعاقات الجسدية أو الحركية المزمنة التي تحد من الحركة أو النشاط البدني.

ويظهر من المصطلحات المتعلقة بالإعاقات أن هذه الألفاظ تعبّر عن تصنيفات دقيقة للحالات الجسدية والعقلية والحسية، مما يساعد في فهم طبيعة كل حالة ودرجة القصور فيها، ويؤكد هذا التنوع أن الإعاقة مفهوم متعدد الأبعاد، يشمل قصوراً وظيفياً يؤثر على حياة الفرد اليومية، ومن ثمّ فإن توضيح هذه المصطلحات يُعدّ خطوة مهمة لبناء إطار علمي واضح لفهم فئات ذوي الاحتياجات الخاصة وتحديد ما تحتاجه من دعم ورعاية.

المبحث الثاني
الجذور التاريخية للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة

أولًا: ذوي الاحتياجات الخاصة عند الاقوام والأمم غير العربية:

يُعَدّ الشرق الأدنى القديم، بما يضمّه من حضارات مهدا لأقدم النظم الاجتماعية والقانونية التي تعاملت مع الإنسان في مختلف حالاته الصحية والجسدية، وقد عرفت هذه المجتمعات مبكرا ظواهر الإعاقة ووجود فئات من ذوي الاحتياجات الخاصة، سواء كانت إعاقات ولادية أو ناتجة عن أمراض وحوادث أو عن عقوبات قانونية صارمة، وتكشف النصوص المسمارية والشرائع المدونة عن رؤية مزدوجة لهذه الفئة؛ إذ جمعت بين القوانين الرادعة التي قد تُسبّب الإعاقة كعقوبة، وبين محاولات لتأمين الحماية والمعيشة والدعم لهم، ومن ثمّ، يُشكّل دراسة أوضاع ذوي الاحتياجات الخاصة في تلك الحضارات مدخلًا مهمًا لفهم تطور التشريعات والوعي الاجتماعي المبكر بمسؤولية الدولة والمجتمع تجاه الفئات الأكثر هشاشة.

---

(١) الأصفهاني، غريب القرآن، ج١، ص ٣٢٢.

(٢) النووي، المجموع، ج ١٩، ص ١٦١.

(٣) مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص٤٠١.

(٤) السعيدي، القاموس الفقهي، ص١٦٠.

١. ذوو الاحتياجات الخاصة في حضارة العراق القديم :

تُعَدّ حضارة العراق القديم من أقدم حضارات الشرق الأدنى، إذ تعود جذورها إلى نحو ٣٥٠٠ ق.م، ويمتد أثرها إلى عصور ما قبل التاريخ قرابة١٠٠٠٠ ق.م[١]، وقد شهدت هذه الحضارة جوانب إيجابية تمثّلت في رعاية الفئات الضعيفة، بتخصيص موارد غذائية لفاقدي البصر وكبار السن، وسنّ تشريعات تحدّ من الإيذاء الجسدي وتكفل لبعض ذوي الإعاقة حقوق النفقة والسكن، وفي المقابل، برزت جوانب سلبية أسهمت في زيادة الإعاقات أو معاناة أصحابها، أبرزها العقوبات البدنية القاسية التي خلّفت عاهات دائمة، واستغلال الضعفاء في أعمال السخرة(٢)خيليل ،وادي الرافدين في عصر فجر السلالات،ص٦٠)، فضلا عن آثار الفقر والأمراض وغياب الرعاية الصحية المنظمة، وبذلك اتسمت حضارة العراق القديم بتوازنٍ متباين بين الرعاية المحدودة من جهة، وممارسات قاسية من جهة أخرى، وهو ما يعكس طبيعة المجتمعات الأولى في تلك العصور، وكان انتشار ظاهره العمى بسبب تفشي الامراض والاوبئة بين الفقراء والمعدمين منهم لذا حاول الحاكم السومري الملك اوركاجينا (٣)(٢٣٦٥_٢٣٥٧ ق.م) اذ اصدر إصلاحات يرفع من شأن هؤلاء ويزيح الظلم عنهم وشملت الجوانب شملت الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

اذ ذكر أنه أقام العدل في البلاد، وأعاد الحقوق إلى أصحابها، وحدّد حصص الخبز والجعة لكبار السن والكهنة، وجعل للعاجزين وذوي العين غير المفتوحة (العميان) مؤناً ثابتة تُعطى لهم بصورة منتظمة، لكي لا يُحرَم الضعفاء في المدينة من قوتهم[٢]،ويُعدّ هذا التدبير من الجوانب الإيجابية لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، إذ ضمن حداً أدنى من المعيشة للأشخاص غير القادرين على العمل الطبيعي.

يلاحظ ان بعض الاعاقات لم تكن نتيجة للامراض بل ناتجة عن الإجراءات القانونية الصارمة لاسيما عقوبة الاخطاء الطبية التي تسبب العاهات،اذ جاء في المادة ٢١٨ من قانون ملك حمورابي(١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) : :إذا عالج الطبيب رجلاً من جروح خطيرة بعملية جراحية فمات الرجل، أو إذا فتح له دُمَّلًا ..... فأذهب عينه، تُقطع يده"[٣] وجاء في المادة ١٩٥:" أنّ الابن الذي يضرب والده تُقطع يده"[٤]، اما في المادة ١٩٦ ما نصه : "إذا فقأ رجلٌ عين رجلٍ من طبقته، فليقأوا عينه"[٥]، كما جاء في المادة ١٩٧ : " إذا كسر رجلٌ عظم رجلٍ من طبقته، فليكسروا عظمه"[١] ،يعكس ذلك جانب سلبيا من تعامل القانون مع الافراد اذ لم تكن

(١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص ١٧٤–١٧٦.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ١٤٥.

(٣) طه باقر، شريعة حمورابي، ص٩٣.

(٤) سليمان، القانون في العراق القديم: دراسة تاريخية قانونية مقارنة، ص٦٢.

(٥) طه باقر، شريعة حمورابي، ص ٩١.

بعض الاعاقات نتيجة طبيعية للامراض فحسب من ناشئ عن الإجراءات القانونية مما أضاف عبئا اجتماعيا على هذه الفئة وللحد من وجود فئة ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع لعراقي القديم لما يشكلونة من عبئ على عوائلهم و على المجتمع والدولة لذا يلاحظ ان بعض القوانين القديمة فرضت عقوبات مختلفه على من يتسبب في ذلك اذ فرض قانون الملك أورنمو[٢](٢٠٩٥–٢١١٢ ق.م) قضايا الإيذاء الجسدي، فارضاً غرامات مالية على من يقطع قدماً أو يحطم يداً أو أنفاً للآخرين، اذا ورد" إذا قطع رجلٌ قدم رجلٍ آخر فعليه نصف مِنّة من الفضة"[٣]،اذ جاء في المادة ١٧ (اذا قطع رجل بسكين انف رجل اخر عليه ان يدفع كغرامة ثلثي المنة من الفضة (فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة ،ص ١٩)

يلاحظ اهتمام القوانين السومرية والاشورية العراقية القديمة في قانون (العين بالعين والسن بالسن) وكذلك بحماية المراءة في حال تعرضها الى الإعاقة او العجز لاي سبب كان اذ ورد في المادة ١٤٨:

ومع تطور ال إذا أصيبت المرأة بمرضٍ عضال فلا يجوز لزوجها أن يطلّقها، بل تبقى في البيت الذي بناه لها ويجب عليه إعالتها ما دامت حيّة."[٤]، كما جاء في عهد تجلات بلاسر الأول[٥](١٠٧٧–١١١٥ ق.م ورد ما نصه: "إذا ضرب رجلٌ امرأة حبلى فأجهضت جنينها، تُقطع أصابعه"[٦]

في هذه الحالات محددة آثاراً سلبية واضحة على ذوي الاحتياجات الخاصة من حيث زيادة الإعاقات الدائمة ونصّت بعض القوانين على حماية المعاقين ، كما نص في شريعة ملك إيسن[٧] التي ألزمت الزوج بإعالة

---

(١) طه باقر، شريعة حمورابي، ص ٩١.

(٢) أور□نمّو: ملك مدينة أور ومُؤسس السلالة الثالثة لأور (حوالي ٢١١٢□٢٠٩٥ ق.م بحسب التسلسل الوسيط)، يُعرف بأنه صاحب أقدم قانون مكتوب باقٍ في التاريخ، المدوّن باسم (قانون أور□نمّو)، والذي حدد العقوبات والأحكام الجنائية والأُسرية والوراثية ضمن مجتمع سومري، ينطلق هذا القانون، كما ان من مبدأ تأسيس نظم عدالة أكثر وضوحاً وانتظاماً، بدلاً من الاعتماد على إرادة السلطة المطلقة، فهو يُعدّ خطوة مهمة نحو مؤسسات قانونية تحمي الأشخاص من العنف التعسّفي أو من التمييز، ما يفسّر مكانته في تاريخ الوقاية من العجز الاجتماعي أو الانحراف القانوني، ومن ثمّ، فإن أور□نمّو لا يُعدّ مجرد حاكم بنى أُسس الدولة، بل يمثل نقطة تحوّل في فهم السلطات التشريعية والإدارية وتأثيرها على أمن الأفراد وحقوقهم ضمن المجتمع. سليمان، القانون في العراق القديم، ص٣٥٥.

(٣) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص ١٩.

(٤) طه باقر، شريعة حمورابي،ص١٠٤.

(٥) تكلَث□پلاسِر الأول كان ملكَ مملكة الآشوريين في عصر الإمبراطورية الآشورية الوسطى، ويُعدّ أحد أبرز الحكّام الأوائل الذين وسّعوا الحدود الآشورية بشكل ملحوظ، خلال حكمه خاض معارك واسعة ضد شعوب مثل الـ Mushki و Nairi، وتوغّل حتى السواحل السورية والمناطق الشمالية من بلاد ما بين النهرين، مما أعاد للعهد الآشوري هيبته التي كانت تقلّ قبل ذلك، كما قام بمشاريع بناء وتجديد للمعابد في مدينة آشور وغيرها من المدن الآشورية، وجمع سجلات مكتوبة ونُقوشاً توثّق إنجازاته، مما يعكس تطوراً في الجانب الإداري والثقافي تحت حكمه. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٢٢٧.

(٦) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص ١٤٢.

(٧) يطلَق لقب ملك إيسن على الحكّام الذين تولّوا السلطة في مدينة إيسن خلال سلالة إيسن الأولى (نحو ٢٠١٧–١٧٩٤ ق.م)، وقد تميّز ملوك إيسن بترسيخ نظام إداري وقانوني حافظ على تقاليد الدولة السومرية، إضافة إلى سعيهم للسيطرة على مدن وسط

زوجته إذ ورد :" إذا صارت الزوجة عرجاء أو عمياء، فلا يجوز للزوج طردها، وإن تزوّج زوجة ثانية فعليه إعالة الأولى، وعلى الزوجة الثانية معاونتها"[١]، يوضح هذا النص وجود جانب إيجابي مهم في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، إذ كفل القانون حماية الزوجة المصابة بالإعاقة الجسدية مثل العرج أو العمى من الطرد، وألزم الزوج بالإعالة المستمرة لها، كما فرض على الزوجة الثانية تقديم الدعم والمساعدة، ما يعكس التزام المجتمع بضمان الرعاية الاجتماعية والاقتصادية للفئات الضعيفة وحفظ كرامتها داخل الأسرة والمجتمع، يتّضح من دراسة حضارة العراق القديم أنّ موقف المجتمع والدولة تجاه ذوي الاحتياجات الخاصة اتسم بطابع مزدوج جمع بين جوانب من الرعاية وأخرى من الإهمال، فمن جهة، برزت محاولات مبكرة للاعتراف بالفئات الضعيفة وتوفير قدر من الدعم لهم، سواء عبر ضمان الحدّ الأدنى من الإعانة أو عبر تنظيم بعض الحقوق الاجتماعية التي تكفل لهم الحماية داخل الأسرة والمجتمع. ومن جهة أخرى، تكشف البنى القانونية والاجتماعية عن ممارسات قاسية أسهمت في تفاقم حالات الإعاقة، إلى جانب محدودية الرعاية الصحية وشيوع الظروف المعيشية الصعبة التي زادت من معاناة هذه الفئات، وهكذا يمكن القول أن الحضارة العراقية القديمة قدّمت نموذجاً يوازن بين خطوات أولية نحو الرعاية وحضور واضح لمظاهر القصور، بما يعكس طبيعة المجتمعات المبكرة في تعاملها مع فئة ذوي الاحتياجات الخاصة.

٢. ذوو الاحتياجات الخاصة في مصر القديمة:

تنوّعت أسباب الإعاقات في مصر القديمة بين الطفرات الجينية(مثل التقزم)والحوادث والحروب والعقوبات القانونية كالبتر والضرب، فضلاً عن الأمراض الشائعة مثل شلل الأطفال وأمراض العيون، وقد أثبتت الفحوص الحديثة لمومياوات الملوك والأفراد شيوع هذه الحالات؛ إذ أظهرت مومياء الملك سيبتاح[٢] (١٢٠٩–١٢٠٠ق.م)

وجنوب بلاد الرافدين، ويعدّ إشبي–إيرا المؤسس الفعلي للسلالة، إذ انفصل بإيسن عن سلطة أور، وبدأ بتوسيع نفوذها السياسي. كريمر، سومر: أولى الحضارات الإنسانية، ترجمة فوزي رشيد، ص ٢١٥.

(١) فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، ص ٧١–٧٢.

(٢) سيبتاح هو ملك مصري من الأسرة التاسعة عشرة، حكم مصر بعد وفاة رمسيس الثاني ومرور فترة قصيرة بحكم ميرنبتاح ثم سيتي الثاني، عرف سيبتاح بحكمه القصير الذي امتاز بعدم الاستقرار السياسي الداخلي، إذ واجه محاولات من كبار الوزراء والجنرالات للسيطرة على السلطة ، رغم قصر فترة حكمه، قام سيبتاح بمشاريع دينية محدودة، أهمها تكملة أعمال بناء في الكرنك ومعبد الملكة حتشبسوت، وترك بعض النقوش التذكارية التي تبيّن تنظيم الدولة والمعابد، يُعدّ سيبتاح من الملوك الذين ساهموا في حفظ استمرارية الأسرة التاسعة عشرة رغم الأزمات الداخلية، ويُظهر سجله دور الملك في الحفاظ على المؤسسات الدينية والإدارية في مصر القديمة. كراوس، رولف، الملكية المصرية، ص ٣١٢.

يُعدّ سيبتاح من الملوك الذين ساهموا في حفظ استمرارية الأسرة التاسعة عشرة رغم الأزمات الداخلية، ويُظهر سجله دور الملك في الحفاظ على المؤسسات الدينية والإدارية في مصر القديمة.

تشوها في ساقه اليسرى بسبب شلل الأطفال[١]، بينما عُثر في مقبرة أظهرت الحضارة المصرية القديمة مواقف متقدمة وملحوظة في رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة واحترامهم، إذ منحتهم مكانة اجتماعية متساوية مع سائر أفراد المجتمع، فقد اعتبر المصريون القدماء الإعاقة حالة إنسانية طبيعية لا تقلل من قيمة صاحبها، ولم يروا فيها خطيئة دينية أو عقوبة إلهية، بل سَعَوا إلى دمج أصحابها في جميع جوانب الحياة السياسية والدينية والاقتصادية، وتشهد الآثار والنصوص الطبية والأدبية والجنائزية على هذا التوجه الإنساني الواضح[٢].

تدل الشواهد الأثرية على أن المصريين دمجوا أصحاب الإعاقة في مختلف المهن والوظائف، بل وصل بعضهم إلى أعلى مراتب الدولة، فالقزم الشهير سِنِب تولى منصب رئيس أقزام القصر الملكي والمشرف على الملابس الملكية، وتزوج من كاهنة تحمل ألقاباً رفيعة، كما يظهر تمثاله في المتحف المصري إلى جانب زوجته وأطفاله في صورة عائلية تعبّر عن الفخر والمكانة الاجتماعية المرموقة[٣]، وتُظهر الرسوم على جدران المقابر موسيقيين مكفوفين يعزفون على القيثارة والهارب في الاحتفالات[٤]، مما يعكس دمج فاقدي البصر في الأنشطة الدينية والفنية وتعليمهم مهارات موسيقية متقدمة.

كما تُثبت النصوص الدينية والأدبية اهتمام المصريين برعاية ذوي الإعاقة ومنع الإساءة إليهم، ففي وصية الحكيم أمنموبي[٥] من عصر الرعامسة (القرن ١٤ ق.م) ورد التحذير:" لا تسخر من أعمى، ولا تهزأ من قزم، ولا تحتقر الأعرج، ولا تسد الطريق أمام العاجز"[٦]، مع تأكيد أن الإله هو خالقهم جميعاً من طين واحد، وهو القادر على الهدم والبناء، ما يعكس نظرة دينية تؤكد الكرامة الإنسانية والمساواة[٧].

وتوثّق المصادر الطبية المصرية رعايةً صحية متقدمة لذوي الاحتياجات الخاصة، فقد سجّلت بردية إيبرس (نحو١٥٢٥ق.م) علاجات للإعاقة السمعية، ووصفت أمراضا مثل التهاب القزحية وأمراض العيون، وأشارت إلى

(١) زاهي، وادي الملوك، ص١٥٢.

(٢) عطا الله، ذوي الاحتياجات الخاصة في مصر القديمة، ص ٩؛ العربي، الإعاقة: دراسة في التاريخ الاجتماعي لقوانين ما قبل الحداثة، ص ٢٣٢.

(٣) ديزن، الاقزام في مصر القديمة وبلاد اليونان،ص١١٥.

(٤) عطا الله، ذوي الاحتياجات الخاصة في مصر القديمة، ص٤.

(٥) آمنمُوبي، المعروف أيضًا بـ سبايِبت موجّه إلى ابنه "حور□إم□ماخر"، يُعدّ من أبرز أعمال الحكمة المصرية القديمة ويُرجّح تأليفه في عهد الأسرة العشرين أو ما قبلها، ينظم النص في ثلاثين فصلاً عددية، ويقدّم تعليمات أخلاقية واجتماعية من قبيل: لا تحرف حدود الضعيف/الأرملة،اجْتَنِب النميمة مع الأحمق، واحفظ نفسك من الغش والأنانية، ويُعتبر هذا النصّ نموذجًا بارزًا للنوع الأدبي تعليمات الحكيم في مصر القديمة الذي يربط بين الفضيلة الفردية والنظام الاجتماعي، وقد لاحظ باحثون ارتباطاته الموضوعية مع نصوص الحكمة في العهد القديم مثل سفر الأمثال. نجيب، مصر القديمة تاريخ وحضارة،ج٢،ص٤٤.

(٦) ديزن،الاقزام في مصر القديمه وبلاد اليونان، ص١٥.

(٧) العربي، الاعاقه دراسه في التاريخ الاجتماعي لقواني ما قبل الحداثه،ص٢٢٩.

محاولات علاج حالات الإعاقة الذهنية[١]، كما قدّمت برديات أخرى مثل أنسينجر تأملات فلسفية في رعاية العجائز والمكفوفين، مؤكدة أن طريق الأعمى الذي يحظى بمباركة الآلهة لا تعيقه العوائق[٢].

الملك توت عنخ آمون على أكثر من مئة عصا طبية تشير إلى إصابة مزمنة في ساقه[٣]، كما رُصدت مومياء الملكة حتشبسوت بيد تحتوي على ستة أصابع، ما يرجح إصابةً بتشوه خلقي[٤].

ورغم هذه التحديات الصحية، احتفظ الأفراد من ذوي الإعاقة بمكانتهم الاجتماعية وشاركوا في الطقوس الدينية والإدارة، بل شغل بعضهم وظائف دقيقة مثل قياس الأراضي بعد فيضان النيل، وهو عمل حيوي لاقتصاد الدولة، وقد سُمح للمكفوفين بأن يكونوا مرتلين دينيين وعازفين في المعابد، في حين مُنع ذوو الإعاقات الذهنية الحادة أو نوبات الصرع من زيارة المعابد حمايةً للشعائر[٥].

تكشف هذه الشواهد مجتمعة أن مصر القديمة سبقت كثيراً من الحضارات في احترام ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم، فوفرت لهم الرعاية الصحية والاجتماعية، وسمحت لهم بتولي المناصب الدينية والسياسية، مؤكدةً أن الإعاقة لم تكن مانعاً من المشاركة في الحياة العامة، بل جزءاً من التنوع الإنساني الذي احتفت به تلك الحضارة.

٣. ذوو الاحتياجات الخاصة في بلاد فارس القديمة :

تُظهر الشواهد التاريخية أن المجتمع الفارسي القديم اتسم بتركيبة طبقية صارمة، إذ قُسِّم السكان إلى ثلاث فئات رئيسة: طبقة رجال الدين، وطبقة المحاربين، وطبقة الزراع[٦]، هذه البنية الهرمية أثرت في إمكان حصول الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة على الرعاية والاندماج الاجتماعي، إذ انحصرت الامتيازات والدعم في الغالب على الطبقات العليا، بينما واجه ذوو الإعاقات من الطبقات الدنيا أشكالاً متعددة من التهميش[٧].

تأثرت نظرة الفرس إلى الإعاقة بالمعتقدات الدينية والموروثات الخرافية؛ فقد فُسرت بعض الإعاقات على أنها علامات غضب إلهي أو نتيجة أفعال آثمة[٨]، هذا التصور انعكس على سبل التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث لم تكن هناك مؤسسات متخصصة لرعايتهم، بل ارتبطت رعايتهم أحيانًا بالمبادرات الفردية أو الخيرية، خصوصاً من قِبل رجال الدين أو العائلة.(مصدر)

(١) ديزن،الاقزام في مصر القديمه وبلاد اليونان،ص.١٥٢؛عطا الله،ذوي الاحتياجات الخاصه في مصر القديمه،ص٤.

(٢) عمر،التربيه النوعيه ،ج١٣،ص١٠٤.

(٣) نجيب، مصر القديمة تاريخ وحضارة،ج٢،ص ١٣٨.

(٤) العربي،الاعاقه دراسه في التاريخ الاجتماعي للقوانين ما قبل الحداثه، ص٢٢٨.

(٥) هيرو دوت، التاريخ القديم،ج٣،ص ٢٤٥.

(٦) العربي،الإعاقة: دراسة في التاريخ الاجتماعي لقوانين ما قبل الحداثة، ص ٢٢٠.

(٧) عبد الرحمن،الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص١٣.

(٨) العربي،الإعاقة: دراسة في التاريخ الاجتماعي لقوانين ما قبل الحداثة. ص ٢٢٣.

كذلك تكشف النصوص الزرادشتية، مثل الأفِستا، عن تصورات دينية اعتبرت بعض الإعاقات الجسدية أو الذهنية من علامات النجاسة أو تلوث الخلق. فقد نُصّ على استبعاد أشخاص بعينهم من تقديم القرابين والطقوس المقدسة، ومنهم: العميان، الصم، الأقزام، المصابون بالنوبات (الصرع)، المشوّهون في الظهر أو الصدر، ممن يعانون من تشوهات الأسنان أو فقدان النطق، والمعتوهون[١]، ويُفسَّر ذلك بارتباط المرض أو التشوه الجسدي بعمل قوى الشر، إذ اعتُقد أنّ الشياطين لوّثت عالما كان مخلوقًا في الأصل كاملاً وسليماً[٢].

يتضح من ذلك أن ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع الفارسي القديم عاشوا في بيئة يغلب عليها الطابع الطبقي والديني الصارم، ولم تُوفر لهم رعاية مؤسساتية أو قوانين حماية خاصة، فإنّ القسوة القانونية والعقوبات الجسدية الشديدة جعلت حياتهم أكثر هشاشة مقارنة بغيرهم، خصوصا مع تفسير إعاقتهم بوصفها علامة عقاب أو شؤم.

٤. ذوو الاحتياجات الخاصة في بلاد اليونان القديمة :

ارتبطت نظرة المجتمع اليوناني القديم إلى ذوي الإعاقة بمثالية الجسد وقيم اللياقة البدنية التي شكّلت جزءًا محورياً من الفلسفة اليونانية، ولا سيما في المدن التي مجّدت القوة والانسجام الجسدي ، مما جعل قبول الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة تحدياً اجتماعياً وأخلاقياً[٣]، هذه المعايير الصارمة جعلت الإعاقة تُعدّ خروجاً عن الصورة المثالية للمواطن الصالح[٤].

سادت الثقافة العسكرية في إسبارطة التي عُدت القوة البدنية شرطاً أساسياً لخدمة الدولة، وكان يُنظر إلى الإعاقة على أنها خطر على الصالح العام، وأشارت الروايات إلى أن الأطفال المولودون بعيوب بدنية كانوا يُتركون في مكان يسمى "أبوثيتا" حتى الموت، بحجة الحفاظ على نقاء البنية الجسدية للمجتمع[٥] ، أما في أثينا، ورغم أن الفكر الفلسفي – خاصة مع سقراط وأفلاطون – أقر بكرامة الإنسان، إلا أن التطبيق العملي ظل محدوداً؛ فقد واجه المعاقون الإهمال والتهميش، وغالباً ما تُركوا لمصيرهم إذا عجزوا عن العمل أو لم يكن لديهم أقارب يعولونهم[٦].

كما عكست بعض المعتقدات الشعبية ارتباطا بين الإعاقة والشر؛ فقد صُوِّر الأعمى أحيانا كرمز للظلام الذي يدل على الشر، ووُصف المجذوم بأن فيه "مسًّا شيطانياً" وفق ما تُظهره النصوص الطبية والطقوس الدينية

---

(١) هيرو دوت، التاريخ فارس، ج٣، ص ٢٤٥.

(٢) بدوي،الكتاب المقدس للديانه الزرادشتيه ،ص١٩.

(٣) أفلاطون، الجمهورية،ج ٣، ص ٧٢.

(٤) أرسطو، السياسة، ج ٢، ص٤١.

(٥) بلوتارخ، حياة ليسورغوس، ص١٦.

(٦) أفلاطون، القوانين،ج ٥، ص ١٢٨.

الشعبية[١]، ومع ذلك، وجدت حالات متفرقة من الرعاية الفردية أو الطقوس الدينية التي كانت توفر بعض أشكال العون، خاصة في المعابد التي عُرفت بتقديم العلاج الروحي والجسدي مثل معبد أسكليبيوس، إله الشفاء عند اليونان[٢] .

كما وأظهرت نصوص الفلاسفة الكبار في اليونان القديمة مواقف متشددة تجاه الأفراد من ذوي الإعاقة، إذ انعكست في كتاباتهم نظرةٌ عملية ترى الإعاقة عبئاً على الدولة والمجتمع، فقد اعتبر أفلاطون أن الحفاظ على "النقاء" الجسدي أمرٌ ضروري لصلاح الدولة، فدعا إلى إخفاء المواليد المصابين بعيوب بدنية أو قتلهم[٣]، مع التأكيد على ضرورة منع تكاثر الضعفاء وتشجيع الأقوياء على التناسل للحفاظ على جودة النسل. (مصدر)

أما أرسطو فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، فرأى أن الأطفال من ذوي الإعاقة عبئ اقتصادي واجتماعي، ونصّ صراحة على أن يُعدم أو يُقتل المولود الذي تظهر فيه علامات الإعاقة منذ الولادة، معتبراً أن مثل هؤلاء لن يقدروا على خدمة أنفسهم أو خدمة الدولة[٤].

وفي جانب آخر من فلسفة أفلاطون الأخلاقية، نظر إلى المرض المزمن أو الإعاقة كحالة لا تستحق علاجا طويلا، إذ رأى أن على الحرفي المريض – كالنّجار – أن يلجأ فقط إلى علاج سريع يتيح له العودة إلى عمله، وإلّا فالأفضل أن يرفض العلاج ويمضي إلى حتفه "كي يُعفي المجتمع من عبء مرضه[٥]، هذه الرؤية عزّزت اعتقادًا بأن الإعاقة نتيجة قوى غيبية أو علامة على غضب الآلهة، وهو ما جعلها في نظر العامة نذير شؤم ومؤشّرًا على العقاب الإلهي[٦].

انتقلت لاحقاً هذه التصورات إلى بعض المجتمعات الأوروبية المسيحية في العصور الوسطى، حيث اعتُبر المرض – جسديا كان أو عقليا – عقابا من الله على الخطايا، فمارست الكنائس طقوسًا دينية تعتبر العلاج الروحي وسيلة للتكفير، وهو ما ساهم في استمرار النظرة السلبية تجاه ذوي الإعاقة[٧].

وبالرغم من التباين في المواقف تجاه ذوي الإعاقة في المجتمع اليوناني، كان هناك جانب من الاعتراف بأهمية الرعاية العملية لهم، خاصة في الحالات العقلية أو الحركية، وضع هيبوقراط أسس النظرية الطبية حول الأمراض النفسية، المعروفة بالتقسيم الرباعي القديم، والتي ركزت على العوامل الجسدية والنفسية في معالجة الإنسان، بما في ذلك ذوي الإعاقات العقلية والحركية، ومن أبرز الإجراءات التي اقترحها: عدم ظهور المريض العقلي في الشوارع العامة، وحصر ظهوره في بيئة منزلية آمنة، بالإضافة إلى زيارات الأقارب له وتقديم وسائل

(١) هيبوقراط، الأمراض المقدسة،ص٤.
(٢) باوسانياس، وصف اليونان، ج ٢، ص٢٧.
(٣) أفلاطون، الجمهورية، ج ٥، ص ٤٦٠.
(٤) أرسطو، السياسة، ج ٧، ص ١٣٣٥.
(٥) أفلاطون، القوانين، ج ٤، ص ٤٠٧.
(٦) هيبوقراط، الأمراض المقدسة، ص٤.
(٧) أوغسطين، مدينة الله، ج ١، ص ٢٢.

التسلية والترفيه للتخفيف من الاكتئاب[١]، كما شملت الرعاية تقديم العلاج البدني والرياضي، والموسيقى، والقراءة، وتوفير حمامات دافئة وغذاء جيد لتعزيز الصحة العامة والنفسية للمعاقين، وهو ما يدل على وعي المجتمع اليوناني بأهمية الدمج الجزئي والاهتمام بالحالة النفسية والجسدية للمرضى والمعوقين، رغم استمرار النظرة التمييزية تجاههم في مجالات أخرى[٢].

يمكن القول إن المجتمع اليوناني القديم قدم نموذجاً مزدوجاً: من جهة، هيمنة القيم الاجتماعية والفلسفية والدينية التي قللت من قيمة المعاقين وفرضت عليهم أشكالًا من الإقصاء أو العقاب الرمزي، ومن جهة أخرى، ظهور محاولات علاجية وإنسانية محدودة تشير إلى بداية الوعي بأهمية رعاية الفرد المعاق، وإن لم تصل إلى مستوى مؤسساتي شامل. هذا التباين يعكس تأثير الفلسفة والأخلاق والدين والعوامل الاجتماعية في تشكيل الموقف تجاه الإعاقة في تلك الحقبة، ويبرز التناقض بين الإقصاء والتقدير الجزئي للإنسانية في المجتمع اليوناني القديم.

٥. ذوو الاحتياجات الخاصة في الحضارة الرومانية القديمة

أظهر المجتمع الروماني القديم قسوة واضحة في تعامله مع ذوي الإعاقة، إذ أُجيز في التشريع الروماني التخلص من الأطفال الذين يولدون بتشوّهات خلقية أو ضعف جسدي، فقد نصّ القانون الروماني الكلاسيكي على أنّ تربية المولود الجديد أو هجره تُعدّ من امتيازات ربّ الأسرة ، بوصفه صاحب السلطة المطلقة في تقرير مصير أبنائه، حتى وصل الأمر إلى حق الحياة والموت[٣] ،وكان التخلص من المواليد غير المكتملين أو المعوقين يتم غالبًا بإغراقهم في نهر التيبر[٤]، أو تركهم للهلاك، لا لدوافع دينية فحسب، بل أيضًا لأسباب عملية مرتبطة بالعبء الاقتصادي الذي قد يفرضه الطفل على أسرته[٥].

وقد ورد أنّ الإمبراطور كلوديوس[٦] (٤١–٥٤م) أصدر مرسوما يقضي بترك العجزة والمعوقين والعبيد لمصيرهم بدلاً من قتلهم، غير أنّ ذلك لم يُغيّر جذريًا واقعهم الاجتماعي، إذ استمرت الممارسات القاسية بحقهم، بما في

---

(١) هيبوقراط، الأمراض النفسية، ص٧.

(٢) باوسانياس، وصف اليونان، ج ٢، ص٣٠.

(٣) بدوي، الإنسان في الفكر اليوناني والروماني، ص ٢١٠–٢١٢.

(٤) أحد أنهر إيطاليا وأشهرها تاريخياً، أتبط بنشوء مدينة روما وتطورها الحضاري، يمتد لمسافة ٤٠٣كم، وينبع من من جبل فوميني في سلسلة جبال الأبنين وسط إيطاليا، ويتجه نحو الجنوب الغربي حتى يصب في البحر التيرانيعد ساحل أوستيا، شكل هذا النهر محوراً أساسياً لحياة الرومان، إذ كان شريان الحياة، أحد وسائل لربط روما بالبحر، كما أرتبطت تأسيس مدينة إسبارطة ، أذ ورد أن التوئمين روموولوس وريمس، أُلقيا فيه قبل أن تنقذهما الذئبة.شوقي أبو خليل، معجم حضارة العالم القديم، ص١٣٤–١٣٥؛ ممدوح، الجغرافيا الطبيعة لأوربا، ص٢١٢.

(٥) جارلاند، النظرة إلى العجز والتشوه في العالمين اليوناني والروماني،ص ٧٢–٧٥.

(٦) تيبيريوس كلافيوس قيصر، المعروف باسم كلوديوس، هو الإمبراطور الروماني الرابع، حكم من ٤١ إلى ٥٤ م بعد اغتيال الإمبراطور كاليغولا، عرف كلوديوس بإصلاحاته الإدارية والقانونية، إذ أعاد تنظيم البيروقراطية الرومانية وأدخل تغييرات مهمة على القوانين المدنية والضرائب، كما قام بتوسيع الإمبراطورية الرومانية لتشمل بريطانيا (٤٣ م) وما وراء نهر الراين، كما ركّز على

ذلك إعدام بعض العبيد وكبار السن غير القادرين على العمل، بينما ظل الأطفال المعاقون أكثر الفئات عرضة للهجر أو القتل(١).

أما من الناحية الدينية والفكرية فقد، ارتبطت بعض أشكال الإعاقة في ذهن الرومان بتفسيرات أسطورية ودينية. فكان العمى مرتبطًا بغضب الآلهة وانتقامها، إذ يُنظر إليه كعقوبة على فواحش ارتكبها الإنسان أو قربان لم يُقدَّم للآلهة، بينما كانت الإعاقة الذهنية تُعزى إلى مسّ من الشياطين أو تأثير قوى خارقة على الإنسان(٢).

وانطلاقا من هذه الرؤية، اعتُبر العقل المثل الأعلى للحياة الإنسانية في الفكر الروماني، لذلك سادت الدعوة للتخلص من أصحاب الإعاقة أو نفيهم وحرمانهم من الحقوق والواجبات، باعتبارهم عبئًا على المجتمع وغير مفيدين، وقد ارتبطت هذه النظرة بالميل إلى الترف والغناء وحب الملذات، إذ اعتُبرت الحياة فرصة للتمتع لا مجال فيها للضعفاء أو المعاقين(٣).

إنّ هذه السياسات تكشف أنّ الإعاقة في الحضارة الرومانية لم تُنظر إليها كحالة إنسانية مستقلة، بل كعبء اجتماعي واقتصادي، ما أدى إلى ممارسات واسعة من الإقصاء والإعدام أو الإهمال.

ثانياً: ذوي الاحتياجات الخاصة في الأديان السماوية التى سبقت ظهور الإسلام :

بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين ليواجهوا أوضاعا اجتماعية ودينية وسياسية واقتصادية فاسدة، بغية إرساء قواعد العدل والمساواة وتصحيح العقيدة وتثبيت مفاهيم إنسانية قائمة على الرحمة والإحسان، ومن بين القضايا الاجتماعية التي برزت في الشرائع السماوية مسألة التعامل مع ذوي الأحتياجات الخاصة، الذين عانوا التهميش والاضطهاد.

١. في الدينة اليهودية:

اكدت الشريعة لموسوية على التعامل مع أصحاب العاهات وفق منظور انساني، ونهت عن الاعتداء عليهم، كما اكدت على وجوب مساعدتهم ،اذ ورد : "**لا تسبّ الأصم، وأمام الأعمى لا تجعل معثرة، بل اخشَ إلهك. أنا**

تطوير البنية التحتية في روما، بما في ذلك بناء القنوات والجسور والموانئ، وسعى إلى تعزيز دور مجلس الشيوخ ومكانة الإمبراطورية في مواجهة الفساد الداخلي، يُعدّ كلوديوس مثالاً على الإمبراطور الذي جمع بين القوة العسكرية والإصلاح الإداري، مع ترك إرث قانوني وتنظيمي ساهم في استقرار الإمبراطورية على المدى القصير والطويل.بوترايت، ماري ت.، الرومان من قرية إلى إمبراطورية، ص. ٤٧٨.

(١) ويتونيوس، الأباطرة الاثنا عشر، ص ٢٦٨.

(٢) جارلاند، النظرة إلى العجز والتشوه في العالمين اليوناني والروماني ، ص ٨٠–٨٣.

(٣) بدوي، الإنسان في الفكر اليوناني والروماني ، ص ٢١٤–٢١٦.

الرب"[١] ، يعكس هذا النص بوضوح قصد الشريعة إلى حفظ كرامة هذه الفئة ومنع استغلال ضعفها، بما يحقق مبدأ المساواة داخل الجماعة الدينية[٢].

شهد المجتمع اليهودي منذ بعثة النبي موسى(عليه السلام) تحولات تشريعية اكدت على التعامل مع هذه الفئة، إلا أنّ هذا الاهتمام لم يدم طويلاً، بل شهد لاحقا تراجعا انعكس في صورة ممارسات اجتماعية ودينية تمييزية،كما برز خطاب آخر يحمل دلالات إنسانية عميقة، إذ ورد: "**خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم**"[٣]، وهو نص يمنح جميع البشر، بمن فيهم ذوو العاهات، قيمة أصيلة وكرامة جوهرية تجعلهم شركاء في الانتماء إلى الجماعة الإنسانية والدينية دون تمييز

وبعد وفاة النبي موسى(عليه السلام) ومع الانحراف التدريجي في الديانة اليهودية تغيّر الموقف، إذ ارتبطت العاهة ارتباط بمفهوم الخطيئة والعقاب الالهي النجاسة والعقاب الإلهي، كما في أحكام البرص، حيث نص على أنّ البيوت المصابة به تُعتبر نجسة وتُفرض عليها إجراءات قاسية قد تنتهي بالهدم:" **ومتى جئتم إلى أرض كنعان التي أنا أعطيكم ملكًا، وجعلت وبأ برص في بيت في أرض ملككم، فأتى الذي له البيت وأخبر الكاهن... فإن رجع الكاهن ورأى أن الوبأ قد انتشر في البيت، فهو برص مفسد في البيت. إنه نجس. فيهدم البيت، حجارته وأخشابه وكل تراب البيت، ويخرجها إلى خارج المدينة إلى موضع نجس**"[٤]، وهذا يعكس ربط المرض بالعقوبة الإلهية وإقصاء المبتلى به عن الجماعة[٥]. كما اتسع نطاق التمييز ليشمل المكفوفين وسائر ذوي الإعاقات الجسدية، إذ سادت معتقدات اجتماعية قاسية مثل الاعتقاد بأن لمس الكفيف يجلب المصائب، ما دفع بعض الأمهات إلى منعه من لمس الأطفال[٦]، وتجلّى هذا التمييز بوضوح في المجال الديني، فقد جاء في النص: "**كلم هرون قائلاً: إذا كان رجل من نسلك في أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرّب خبز إلهه، لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم: لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس ولا زوّاد، ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد، ولا أحدب ولا أكشم**[٧] **ولا من في عينه بياض ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصى، كل رجل فيه عيب من نسل هرون الكاهن لا يتقدم ليقرّب وقائد الرب، فيه عيب، خبز إلهه من أقداس الأقداس ومن القدس يأكل، إلا إلى الحجاب لا يدخل وإلى المذبح لا يقترب لأن فيه عيبًا، فلا ينجّس مقادسي لأني أنا الرب مقدسهم**"[٨]، وقد صنّف رجال الدين آنذاك اثنتين وأربعين عاهة حالت دون ممارسة الأعمال الكهنوتية[٩]،

---

(١) سفر اللاوين، الأصحاح ١٤:١٩.

(٢) الثعالبي، محاضرون في تاريخ المذاهب والأديان، ص١٠٧.

(٣) سفر التكوين،الأصحاح ١: ٢٧.

(٤) سفر اللاويين،الأصحاح، ١٤: ٣٤–٤٥.

(٥) العطار وآخرون، المعجم الكتابي، ص ١٥٨؛ درويش، شرح الأحكام الشرعية في التوراة، ص ١٤٣–١٤٤.

(٦) خير الله وبركات، سيكولوجية الطفل الكفيف وتربيته، ص ٥١.

(٧) الأكشم : الغليظ الشفتين. أبن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٤٣.

(٨) سفر اللاوين، الأصحاح،٢١: ١٧–٢٣.

(٩) العطار، شرح الأحكام الشرعية في التوراة، ص ٢٠٧

وبذلك يتضح من خلال النصوص اليهودية أنّ التعامل مع أصحاب العاهات مرّ بمرحلتين: الأولى إنسانية قائمة على الرحمة والمساواة في بدايات الشريعة الموسوية، والثانية لاحقة اتسمت بالتمييز والربط بين العاهات والنجاسة أو العقاب الإلهي وفي جانب اخر استخدمت العاهات كوسيلة اذلال وعقوبة سياسية.

٢. في الديانة المسيحية:

أولت الديانة المسيحية اهتماما خاصا برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، فحين بعث الله تعالى نبيه عيسى(عليه السلام)، كانت هناك أوضاع اجتماعية وصحية سيئة سادت تلك الحقبة، وكان من بين تلك القضايا انتشار العاهات والعيوب الجسدية بين الناس، الأمر الذي كان يمثل تحديا كبيرا للمجتمع، فكان النبي عيسى(عليه السلام) كمعجزة إلهية لتصحيح هذه الأوضاع، إذ أُعطي القدرة على شفاء المرضى، إذ ورد في قوله تعالى: ﴿**وَتُبْرِئُ الْأَكْمَه وَالْأَبْرَصَ بإذني**﴾[١]، وهو ما يدل على شفاء الأكمه والأبرص كرمز لتصحيح العاهات واستعادة الكرامة الإنسانية[٢]، وقد ذكر أن النبي عيسى(عليه السلام) كان يجتمع عليه في وقت واحد آلاف المرضى[٣]، مما يعكس مدى الإهمال الذي كانوا يعيشون فيه سابقا.

وتُظهر المواقف العملية التي قام بها النبي عيسى(عليه السلام) كيفية استخدام العقل والقدرات البشرية لتعزيز الشفاء وتجاوز القيود الجسدية، ، حيث تمكنا بفضل توجيهاته من تنفيذ عمل يتطلب القوة والبصر معا[٤]، مما يوضح كيف أن الشعور بالنقص يمكن أن يحفز الإنسان على إيجاد حلول مبتكرة .

كانت رسالة نبي الله عيسى(عليه السلام) تتميز باستخدام الدعاء كوسيلة للشفاء، مما أظهر أن قدرة الله ورحمته هي السبيل إلى تجاوز العاهات والأمراض[٥]، وهو ما ساعد في تحسين معاملة المجتمع لأصحاب العاهات مقارنة بما كان عليه الحال عند اليهود.

كما منحت رسالة السيد المسيح(عليه السلام) ذوي الاحتياجات الخاصة مكانة أكثر إنصافًا وإنسانية، فقد اعتبر المسيح أنّ الإعاقة ليست نتيجة خطيئة فردية أو وراثية، بل هي سبيل لإظهار قدرة الله ورحمته، ويتضح ذلك في حادثة شفاء الأعمى حين سُئل المسيح(عليه السلام): "**من أخطأ، هذا أم أبواه، حتى وُلد أعمى؟**"، **فأجاب:** "**لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه**"[٦].

تكررت في الأناجيل مواقف عديدة لشفاء ذوي العاهات والأمراض، وهو ما يعكس اهتماماً خاصاً بالفئات المهمّشة، فقد ورد نصّ شفاء المقعد عند بركة بيت حسدا:"**وبعد هذا كان عيد لليهود، فصعد يسوع إلى**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٢) الثعلبي، الكشف و الإيضاح عن أخبار العرائس من المعجزات، ص٥١٨.

(٣) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٥٨٩.

(٤) الثعلبي، الكشف و الإيضاح عن أخبار العرائس من المعجزات، ص٢١٧.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٢١٤-٢١٥.

(٦) إنجيل يوحنا ٩: ١–٧.

أورشليم، وفي أورشليم عند باب الضأن بركة، يقال لها بالعبرانية بيت حسدا، لها خمسة أروقة، في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمي وعرج وعسم، يتوقعون تحريك الماء، لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء، فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه، وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة، هذا رآه يسوع مضطجعاً، وعلم أن له زمانا كثيراً، فقال له: أتريد أن تبرأ؟ أجابه المريض: يا سيد، ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء، بل بينما أنا آت، ينزل قدامي آخر، قال له يسوع: قم. احمل سريرك وامشِ. فحالا برئ الرجل، وحمل سريره، ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتاً"[١]، يؤكد هذا النص أن الإعاقة لم تُعَدّ خطيئة شخصية، بل مجالًا لتجلي رحمة الله وقدرته.

إذ ورد: "**ويل للعالم من العثرات! فلا بد أن تأتي العثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة. فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تُلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك. خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تُلقى في جهنم النار ولك عينان**"[٢].

هذه النصوص، وإن حملت طابعا رمزيا في إشارتها إلى "قطع الأعضاء" أو "قلع العين"، إلا أنها تؤكد أنّ الإعاقة لا تحرم الإنسان من الخلاص ولا تُقصيه من رحمة الله بل على العكس، جرى اعتبارها فرصة للتطهير الروحي ومجالا لممارسة الرحمة و الإحسان.

ثالثاً: ذوي الاحتياجات الخاصة عند العرب قبل الاسلام :

تراوحت نظرة العرب قبل الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة بين الإقصاء الاجتماعي المبني على الخوف من العاهة، وبين الاحتفاء الاستثنائي ببعض أصحابها عندما تُنسب إليهم صفات الحكمة أو القدرة على التأويل والكهانة، وتُعَدّ شخصيتا شِقّ[٣] وسَطيح[٤] من أبرز النماذج التي تكشف هذا التباين؛ إذ ذكر بأنهما كانا من أصحاب العاهات الشديدة، ومع ذلك نالا مكانة مرموقة وحضوراً مميزاً .

(١) إنجيل يوحنا ٥: ١–٩.

(٢) إنجيل متى ١٨: ٧–٩.

(٣) شِقّ أحد أشهر كهان العرب في الجاهلية، وقد تميّز بخلقة غير مألوفة جعلته من ذوي العاهات الجسدية، الأمر الذي لفت أنظار العرب إليه وأكسبه مكانة خاصة في بيئتهم.من أهل الكهانة، حيث كان يُقضى إليه في النوازل، ويُستفتى في الأمور العظام، وكان شقّ من أهل الفراسة والاختبار، تُضرب به العرب المثل في صدق التكهّن،وذكر أن شِقّ كان يُرى نصف إنسان؛ له عين واحدة، ويد واحدة، ورِجل واحدة، حتى قيل إنه "شِقّ إنسان" لا كامله، ولذلك لُقّب بهذا اللقب.أبن هشام السيرة النبوية،ج١، ص٢٨–٢٩؛ابن قتيبة، المعارف،ص ٢٦٣؛ تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص١٤٨–١٤٩.

(٤) قيل: هو سَطيح الذئبي يقال: سطيح الغسّاني، أحد أشهر كُهّان العرب قبيل الإسلام، وقد تميز بوصفٍ جسدي غريب إذ روي أن سطيح كان "لا عظم له إلا في رأسه، وكان مضطجعا كالثوب الملقى، لا ينهض إلا إذا أُقيم، وكان من أعلم الناس بالكهانة"، وورد أن سطيح كان "جسما كسَطيحة منبسطة، ليس فيه غير رأس يتحرك"، وأن العرب كانت تقصده؛ لأن كهانته لا تُخطئ. عرف

أرتبط تصوير شقّ وسطيح بظاهرة لافتة، تتمثل في أن الاختلاف الجسدي لم يكن دائماً سبباً للإقصاء، بل قد يتحوّل إلى علامة على الحكمة الخارقة وامتلاك معرفة لا تتوافر لغيرهم، فقد نقل أن سطيح كان "لا عظم له إلا جمجمة رأسه، منبسطاً على الأرض، وكان من أعلم الناس بالكهانة"[١]، بينما ورد أن شقّ كان "نصف إنسان، له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة، وكان يُضرب به المثل في الكهانة وإصابة الرأي"[٢]، ويؤيد ابن كثير هذا الربط بين الخِلقة غير المألوفة والكهانة، إذ يؤكد أن سطيح كان "مسلوخا لا أطراف له إلا الرأس وكان من أعلم أهل زمانه"[٣]، وقد وسّع المسعودي هذه الدلالة حين أشار إلى أن بعض الكهّان في الجاهلية كانت خلقتهم تختلف عن سائر الناس، ومع ذلك كانوا أصحاب حكمة وتجربة يُرجع إلى قولهم[٤]، ويقدّم القالي رواية مشابهة حين ذكر أن شقّ " نصف إنسان وكان له من الفطنة ما يُضرب به المثل"[٥]، و يعزّز الجاحظ هذا التصور العام عبر تقريره أن من ذوي العاهات من "يُدرِك ما لا يُدرِكه أكثر البصراء، ويبلغ من العرج ما يفوق عامة الأصحّاء"[٦]، وهو نص يؤسس لفكرة أن العاهة لا تعارض الفطنة بل قد تقترن بها.

تكشف هذه الشواهد أن العرب قبل الإسلام لم ينظروا إلى ذوي العاهات نظرة واحدة، بل ميزوا بين الإعاقة التي تؤدي إلى الإقصاء في الظروف العادية، وبين العاهة المصحوبة بمهارة استثنائية، ولا سيما في الكهانة وتأويل الرؤى، وفي ضوء ذلك، أصبح الاختلاف الجسدي في المخيل الجاهلي عنصرا يمنح صاحبه رمزية معرفية ومكانة اجتماعية مميزة، ما يشير إلى أن الإعاقة لم تكن دائماً تعبيراً عن الضعف، بل قد تتحول إلى مصدر قوة ومشروعية ثقافية داخل المجتمع القبلي.

شكل أصحاب العاهات والعيوب الجسدية جزءاً واضحاً من بنية المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ عرف المجتمع الجاهلي مختلف أنواع العاهات، ووصفوا أصحابها بنعوت تتوافق مع حالتهم الصحية؛ فظهر عندهم الأعمى والأعرج والأصم والأبرص وغيرها العاهات، تعامل العرب معهم بطرائق متباينة تراوحت بين الإيجابية والسلبية، ويُشير هذا التفاوت إلى أن التقدير أو الإقصاء لم يكن قائما على الإعاقة نفسها، بل على المكانة الاجتماعية للفرد وقدراته الخاصة، سواء في الشجاعة، أو الفصاحة، أو الخبرة القبلية.

فعلى مستوى النضرة السلبية كان للبيئة الصحراوية القاسية، وتنامي الصراعات القبلية، عوامل جعلت القوة معيار التفاضل، ما أدى إلى احتقار الضعفاء وذوي العاهات في حالات كثيرة، وقد ظهر ذلك بجلاء في نظرتهم

بشهرته بين العرب، وعدّ من أعظم كهّان وأصدقهم كلمة، إذ قيل عنه أنه: " وكانت العرب تعظّم سطيحًا لصدقه وكثرة ما يصيب من القول". أبن قتيبة، المعارف، ص٢٦٣؛ أبن هشام، السيرة النبوية،ج١، ص٢٨ـ ٢٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص١٤٨–١٤٩.

(١) الأغاني، ج١٤، ص١٠٦.

(٢) الأغاني، ج١٤، ص١٠٨.

(٣) البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٥–٢٦٦.

(٤) مروج الذهب، ج٢، ص١٤٥

(٥) الأمالي، ج١، ص٢١٥

(٦) الحيوان، ج٤، ص٣٥.

إلى "الأعور"، إذ عدّوه عيباً ينقص من مكانة صاحبه، خاصة في مجتمع تسوده الخرافة ويتدخل الفأل والطيرة في أحكامه(١).

كما اتخذت بعض القبائل موقفًا سلبيًا يتجاوز الوصف إلى العزل الاجتماعي؛ فقد كانوا يتجنبون الأكل مع أصحاب الأعذار، لا سيّما الأبرص، إما تقذّرًا أو خوفًا من العدوى(٢)، وهو ما ذكره القرطبي في تفسيره ما واجه أصحاب العاهات قبل الإسلام بعض أشكال التمييز الاجتماعي، خاصة البرصان، إذ كان العرب يتقززون منهم ولا يخالطونهم في الطعام أو المجالات الشخصية إلا عند الضرورة(٣).

ذكر أن العرب كانوا يتحرجون من مخالطة المصابين بالبرص في حياتهم اليومية(٤)، إذ كان هذا المرض يُمنع أحياناً من مقابلة الملوك مباشرة، فقد ورد أن عمرو بن هند(٥)، حين أمر الحارث بن حِلّزة(٦) بأن ينشد قصيدته بين يديه، جعل بينهما سبعة أستار حتى لا يرى بعينيه آثار البرص عليه(٧)، غير أنّ جودة القصيدة وحسن فصاحتها أثّرت في نفس الملك تأثيراً بالغاً، حتى "استخفّه الطرب وحمله السرور"(٨)، فأمر برفع الحجاب، ثم دعا الحارث إلى طعامه، وجعله بعد ذلك من نُدمائه المقرّبين(٩)، وهكذا غدت العاهة التي كان سببا في العزلة بابا للفخر، وغطّى الحارث ببيانه وشعره ما في بدنه من نقص ظاهر.

يتّضح من دراسة مواقف العرب في الجاهلية تجاه أصحاب العاهات أنّ الجوانب السلبية لم تكن هي الغالبة في تعامل المجتمع معهم، بل كانت هناك مظاهر إيجابية واسعة تعكس احتراما لمكانة عدد منهم، ولا سيما من جمعوا بين العاهة وبين خصال العرب الكبرى مثل الفصاحة.

ولم تكن شهرة أصحاب العاهات مقتصرة على مجال الشعر، بل برز منهم فرسان وأشراف من أبطال العرب، مثل شيطان بن عوف بن مزيد –وكان أبرص– الذي عُدّ من أبطال يوم مبايض، وهو يوم لبكر على تميم، وقد

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٠٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص٢١٣.

(٣)الواحدي، أسباب النزول ، ص٢١٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٧٩.

(٥) هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي (ت٥٥٤م)، أحد ملوك الحيرة من اللخميين، وكان من أشهر ملوك العرب قبل الإسلام وأكثرهم قوة وهيبة. لُقِّب بـ "مُحَرِّق" لشدّة بطشه، وبلقب "ابن هند" نسبةً إلى أمه هند، وكان عصره يمتاز بنشاط سياسي وعسكري واسع مع الفرس والقبائل العربية. المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٣٨.

(٦) الحارث بن حِلّزة بن مكروه اليشكري البكري، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان من أشراف قبيلته بني يشكر من بكر بن وائل، وتميّز بالحكمة ورجاحة العقل. أصيب بالبرص، وهي عاهة جعلت الملوك يتحرجون من مخالطته مباشرة، قدَّر زمن حياته في منتصف القرن السادس الميلادي، قبل البعثة النبوية بنحو نصف قرن. الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٨٧–٨٩.

(٧) الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص٣٥.

(٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٢٧.

(٩) الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ص٣٥

اعترف التميميون بأن هزيمتهم كانت على يد "شاطن أبرص على خيل بُلْق"[١]، وهذا يبيّن أنّ البرص لم يمنع بعضهم من بلوغ ذروة الشجاعة والفروسية.

ومن الشواهد أيضاً جذيمة بن مالك الملقّب بالأبرش، ملك العراق في الجاهلية، وعلى الرغم من برصه، فقد كان من كبار ملوك العرب، واشتهر بلقب جذيمة الوضّاح، ولم يكن في زمنه مَن يُلقّب بهذا اللقب سواه[٢]، ويقدّم ذلك مثالاً بالغ الدلالة على أنّ المجتمع العربي كان مستعداً لتمكين صاحب العاهة من أعلى المراتب إذا كان أهلاً لها.

كما لم تمنع العاهات أصحابها من الريادة، ومنهم عمرو بن عبد الله المعروف بشلل أحد كفّيه، ومع ذلك كان سيداً من سادات قومه وشاعرًا مرموقًا، وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام الذي كان أحول، إلا أنه كان من زعماء قريش وأشدّ رجالها نفوذًا[٣] .

وتكشف هذه الأمثلة أنّ النَّسب كان عاملاً مؤثّرًا في نظرة المجتمع إلى العاهة؛ فالسادة وأهل البيوتات كانوا يحظون بقدر من التقدير يخفّف من أثر عاهاتهم، وهو ما تؤكده القاعدة القبلية الراسخة بأن السيادة تورث في منبت واحد[٤].

ومن الشواهد أبو طالب بن عبد المطلب[٥]، عم النبي(□)، كان مثالاً للعرجان الذين حافظوا على مكانتهم القيادية رغم إعاقتهم الجسدية، إذ كان زعيم قريش وذو نفوذ سياسي عظيم، وعندما عيرته بعض نسائه بالعرج، رد بشعر يبرز اعتزازه بنفسه وبفعاله على الرغم من العائق الجسدي، فقال:

عرجت فما الذي انكرت من جلد وحسن فعالـــــي وأنا ابن بجدتها وسليل كل مسود مفضال

ادع الرقاحة وكيما أفيد رغائب الأموال وأقف سهمي عن وجوه جمة حتى يصيب مقاتل البخال[٦].

وتوضح هذه الأبيات الفخر بالنسب والكرامة الشخصية والقدرة على العطاء والمشاركة في شؤون القوم، رغم العاهة الجسدية .

ومن الشواهد الأخرى عدي بن عمرو بن سويد[١] والحارث الغساني[٢]، اللذين أظهرا قدرة العرجان على شغل المناصب العليا إذا كانت خلفيتهم النسبية مرموقة[٣]، كما ومثل عبد المطلب[٤] نموذجاً على احترام المجتمع العربي للمعاقين بصرياً، إذ بقي زعيماً وموضع تقدير، وقد وصف بأنه من أحلم العرب وأكثرهم حكمة[٥].

---

(١) الجاحظ، ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ص٨٩–٩٩

(٢) ابن حبيب، المحبر، ج١، ص٢٩٩.

(٣)الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص٦٠٩

(٤)ابن خلدون، المقدمة، ص١٧٥.

(٥) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي محمد(□) وأحد أبرز قادة قريش في الجاهلية، عُرف بالعرج الناتج عن إعاقته الجسدية، وقد حافظ على مكانته القيادية والنفوذ السياسي رغم هذا العائق، تولى رعاية النبي(□) وحماه، وكان له دور مهم في شؤون قريش، وظهر ذلك جليًا في تعاملاته مع القبائل والمعارك القبلية، توفي أبو طالب في السنة العاشرة قبل الهجرة. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٨٥.

(٦) الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص٢٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣١٦.

ويتضح من هذه النماذج التاريخية أن المجتمع العربي قبل الإسلام أتاح فرصا لذوي العاهات للمشاركة في القيادة والشرف الاجتماعي، خاصة إذا كانوا من أبناء نسب عريق، ما يعكس قدرة المجتمع على تحقيق نوع من التكافؤ الاجتماعي رغم الاختلافات الجسدية.

ومحصلة الأمر أنّ النظرة الإيجابية كانت أغلب في المجتمع العربي قبل الإسلام، وأنّ أصحاب العاهات استطاعوا –بحسب ظروفهم ونسبهم وخصالهم– أن يتحوّلوا إلى شعراء وفرسان وملوك وزعماء، وأن يسهموا في صناعة مجد قبائلهم على الرغم مما كانوا يعانونه من عاهات جسدية.

المبحث الثالث

ذوو الاحتياجات الخاصة في القرآن الكريم والسنة النبوية

يُعَدّ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي، ومن خلالهما تبلورت الرؤية الإسلامية المتكاملة للإنسان بوصفه خليفةً في الأرض، مكرّمًا بالعقل والروح والاختيار. ولم تقتصر هذه الرؤية على الأصحّاء من الناس، بل شملت ذوي الاحتياجات الخاصة، إذ أولى لهم الإسلام عنايةً بالغة، فأكّد على إنسانيتهم وكرامتهم، وراعى خصوصياتهم، وبيّن حقوقهم وواجباتهم ضمن حدود الاستطاعة.

---

(١) عدي بن عمرو بن سويد الأعرج الطائي، من كبار سادات العرب في الجاهلية، عُرف بعجزه في الساق (العرج)، وكان من المخضرمين الذين عاصروا فترة الجاهلية المتأخرة وبزوغ الإسلام، رغم إعاقته الجسدية، شغلت مكانته الاجتماعية ومكانته القيادية ضمن قبيلته (طئ) دورًا بارزًا في المحاكمات والخصومات القبلية. الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص١٦٧؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١١، ص٣٣٧.

(٢) الحارث الأعرج الغساني، الحارث الأصغر بن الحارث الأوسط بن الحارث الأكبر، من أبرز ملوك الغساسنة في الشام قبل الإسلام، كان مصابًا بالعرج، تولى حكم مملكته بجدارة، كان مثالاً على قدرة أصحاب العاهات على شغل المناصب العليا عند تمتعهم بالنسب العريق والمكانة الاجتماعية. وقد نزلت ملكيته في الجولان، وعُرف بقدراته القيادية وحكمه العادل. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٧٧.

(٣) الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ص١٦٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٧٧؛ المعموري، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام قبل الإسلام، ص٧٣

(٤) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جد النبي محمد(□) وعميد بني هاشم، كان من كبار قادة قريش في الجاهلية، وعُرف بالحلم والحكمة. أصيب بإعاقة بصرية، ومع ذلك حافظ على مكانته القيادية والنفوذ الاجتماعي، وكان يحظى بالاحترام والتقدير من قبل قومه، ويظهر ذلك في سيرته ودوره البارز في إدارة شؤون القبيلة وحفظ كرامتها. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ج١، ص٤٩٣.

(٥) الجاحظ ،البرصان والعرجان والعميان والحولان، ص١٠٥.

أما السنة النبوية فقد جاءت مكمّلة لهذا التوجّه القرآني، إذ طبّق الرسول(□)هذه المبادئ في الواقع العملي، إذ حفلت الأحاديث النبوية بتوجيهات تربوية وأخلاقية ترشد إلى الصبر على الابتلاء، وتبيّن عظم الأجر لمن يُبتلى في بدنه أو سمعه أو بصره فيرضى ويحتسب.

أولاً: ذوو الاحتياجات الخاصة في القرآن الكريم :

أبدى القرآن الكريم عنايةً خاصة بذوي الاحتياجات الخاصة ، فتارةً يذكرهم صراحةً في عددٍ من آياته، وتارةً أخرى يوجّه النبيَّ الكريم محمداً(□)إلى بيان أسس التعامل الأخلاقي معهم، مراعاةً لما يعانونه من ابتلاء، وقد جاءت هذه الإشارات إمّا بصيغةٍ مباشرة تصف الإعاقة صراحة، وإمّا بصيغ ضمنيّة تحمل معاني وإشارات تستدلّ بها الدراسة على المراد، إذ عرضَ صورا متعددة للإعاقات الشائعة بين الناس منها: الصمم، والبكم، والعمى، والعرج، والسفه،

وتأتي هذه الدراسة لبيان ما ورد في القرآن الكريم من آياتٍ صريحة و ومجازية وضمنية تتعلّق بذوي الاحتياجات الخاصة، مع توضيح المقاصد التشريعية والإنسانية والروحية التي تحملها تلك الآيات.

ومن الآيات الصريحة التي تناولت ذوي الاحتياجات الخاصة قولُه تعالى: ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلمَرضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَج إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلمُحسِنِينَ مِن سَبِيل وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيم**﴾[١]، تُعبّر هذه الآية عن عدل ورحمة الله في التشريع الإسلامي، حيث رفع الحرج عن ذوي الأعذار من ضعف أو مرض أو فقر[٢]، وهذه دلالة واضحة على أنّ الضعفاء والمرضى معذورون، ما داموا قد نصحوا لله ورسوله ، بينما شدّد الكاشاني(ت١٠٩١هـ) في تفسيره على أن التكليف الشرعي "مرتبط بالوسع والقدرة"[٣].

كما جاء التصريح برفع الحرج عن ذوي الاحتياجات الخاصة في قوله تعالى:﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلأَعمَىٰ حَرَج وَلَا عَلَى ٱلأَعرَجِ حَرَج وَلَا عَلَى ٱلمَرِيضِ حَرَج وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلهُ جَنَّٰت تَجرِي مِن تَحتِهَا ٱلأَنهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّب هُ عَذَابًا أَلِيما**﴾[٤]، تؤكد الآية الكريمة: مبدأ قرآنيًّا أصيلاً في رفع الحرج عن ذوي الإعاقات الجسدية، خصوصا في مورد الجهاد الذي يقتضي سلامة البدن، وقد اتفقت التفاسير على أنّ النص نزل لتخفيف

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٢) الطوسي، العدة في أصول الفقه، ج١، ص٢٥٩؛الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص٥٦؛ الطباطبائي، الميزان، ج٩، ص٢٦٥.

(٣) الصافي، ج٥، ص٧١.

(٤) سورة الفتح ،الآية: ١٧.

التكليف عن الأعمى والأعرج والمريض، إذ رفع الحرج جاء "لعدم قدرتهم على القتال"[١]، وذكر أنه لا إثم عليهم في ترك الجهاد لعذرهم[٢]، كما ورد أن هؤلاء "ذوي الأعذار إذا أطاعوا الله في غير ذلك فلهم الثواب"[٣]،

وبذلك يظهر أنّ الآية لا تُسقط عن ذوي الإعاقة مسؤوليتهم الدينية والإنسانية، بل تراعي حدود طاقتهم، مثبتةً حقهم في المساواة التكليفية، ومقرّرة أنّ معيار النجاة هو الطاعة، لا سلامة الجسد الآية لم تقتصر على حكم شرعي جزئي، بل أرست قاعدة عامة في تكريم ذوي الاحتياجات الخاصة، ودمجهم في المجتمع دون تمييز، في إشارة إلى رفع الحرج عن هذه الفئة في التخلف عن ميادين القتال، لما لهم من عذرٍ مشروع عند الله تعالى.

من الآيات الصريحة التي ورد فيها ذوي الاحتياجات الخاصة، إذ ذكرتهم بصريح اللفظ في قوله تعالى:﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾[٤]، فالمقصود من "أولي الضرر" هم أصحاب الإعاقة و الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض، القاعِدون في الآية هم القاعدون عن الجهاد، لكن الذم موجّه فقط لمن قعد بغير عذر، أما ذوو الإعاقة فهم داخلون في رحمة الله، محفوظة كرامتهم، ولهم أجرهم الكامل بحسب نياتهم.وأن ذكرهم جاء بصيغة مباشرة لرفع التكليف عنهم[٥].

ومن الشواهد الصريحة التي وردت فيها ذكر لذوي الاحتياجات الخاصة قوله تعالى:﴿ **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ**﴾[٦]، فالمقصود بالايه الاعمى والابرص وهو من وُلد أعمى و" الأبرص" الذي يُعاني من عاهةٍ جلدية منفرّة[٧]،ومن هذا المنطلق، يمكن القول إنّ ذكر هذه الفئة في القرآن الكريم يُجسّد اعترافا بوجودها ضمن النسيج الاجتماعي، ودعوةً إلى التعامل معها برفقٍ وإنصاف، بما ينسجم مع مقاصد الشريعة في رفع الحرج وتكريم الإنسان أيًّا كانت حالته.

ومن الآيات التي وردت فيها إشارة مباشرة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، وبالتحديد ذوي الإعاقة البصرية . قوله تعالى:﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ**﴾[٨] اختلف المفسرون في تفسير هذه الايه فقال بعضهم نزلت بشان رجل من بني اميه (الخوئي صلاه النجاه الجزء الاول صفحه ٤٦٢ والبعض الاخر انها نزلت بشان عبد الله ابن ام مكتوم حينما عاتب الله سبحانه رسوله الكريم وذكر ان عبد الله ابن ام مكتوم مر على الرسول فكلم الرسول وجعله يستقراه القران فشقه ذلك عليه حتى اضجره ابن كثير في البدايه والنهايه الجزء الثالث صفحه ١١٢ الى ١١٣ وكان رسول الله مشغولا عما كان فيه من امر الوليد وهو احد المستهزئين الذي كان يكلم

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص٣١٣؛ مصادر اخرى

(٢) الطوسي،التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٣٦.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص١٠٣.

(٤) سورة النساء، الآية:٩٥.

(٥)الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١١٨–١١٩ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٢–٣٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية : ٤٩ .

(٧) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٤٧٦.

(٨) سورة عبس، الآيات:١–٢.

الرسول وقطع في اسلامه فلما اكثر عليه انصرف عنه عابسا فانزل الله عز وجل بحقه وفي روايه اخرى تفسير الايه جاءه ابن ام مكتوم هو اميه ابن خلف (البهيقي السنن الكبرى صفحه ١١٣

وقد انعكس هذا التوجيه في سلوك النبي بعد ذلك، فكان يكرم ابن أم مكتوم غاية والإكرام. كيف يصدر هكذا تصرف من رسول الرحمه وهذا منافي لشريعه رسول الله وهو القدوه الحسنه لكل ما هو خير فهو منزه وروي عن الإمام جعفر الصادق أن النبي كان إذا رآه يقول: «مرحبًا مرحبًا، لا والله لا يعاتبني الله فيك أبدًا»(، جعفر مرتضى الصحيح من السيره الجزء الثالث صفحه ١٦٢

، فكان هذا القول تعبيرًا عن عظيم العناية واللطف، وجبر الخاطر، وإشعار هذا الصحابي الكريم بمكانته ومن هنا نستخلص أن هذه الآيات تؤسس لمنهج إنساني راقٍ في التعامل مع ذوي الإعاقة، يقوم على الرحمة والاحترام، ومراعاة مشاعرهم، وإدماجهم في المجتمع دون تمييز أو تقليل من شأنهم. فالإسلام لا ينظر إلى العجز الجسدي على أنه نقص في القيمة، بل قد يكون صاحبه أرفع عند الله منزلة إذا صدق في إيمانه وسعيه. وعليه، فإن الواجب في ضوء هذه الآيات هو حسن التعامل مع المكفوفين وذوي الاحتياجات الخاصة، وإعطاؤهم الاهتمام والتقدير، والتلطف معهم في القول والفعل، وعدم إشعارهم بالعجز أو التهميش، بل رفع معنوياتهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، اقتداءً بهدي النبي الذي جسّد أسمى معاني الرحمة والإنسانية.(سوسن فاضل كاظم الدريساوي ، اسامه ضريري العراق واثرهم في الحياه العلميه ،ص٢٣ ومن الآيات التي تضمنت إشارة صريحة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة في بعدها العقلي والاجتماعي، قوله تعالى: ﴿**فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا**﴾[١]، تُظهر كتب التفسير الفرق الدلالي بين مصطلحي السفيه و الضعيف، فيما يخص السفيه حيث اتفق المفسرون على أنّه هو المبذّر في ماله، الذي لا يحسن التصرّف فيه وإن كان بالغاً، إذ يعد من الحالات التي تستدعي الحماية القانونية والمالية، ولا يُسمح له بالتصرف الكامل في ماله إلا تحت إشراف وليّ أو وصي، بما يضمن مصالحه ويزيل عنه الحرج، وبهذا، يُعامل السفيه في الجوانب المالية كما يُعامل القاصر والمجنون، إذ يُلزم وجود ولاية شرعية لضمان التصرف الأمثل في ممتلكاته[٢].

أما الضعيف هو: من به عاهة في عقله"[٣]، في حين عد البعض أن "ضعيف العقل لا يقدر على النظر لنفسه"[٤]، كما ذُكر أن الضعيف قد يكون "صغيرا أو أحمق"[١]، بينما أكد احد المفسرين أن هؤلاء "لا يصح أن

(١) سورة البقرة،الآية: ٢٨٢.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج٥، ص٤٣٧؛ الطوسي، التبيان، ج٢، ص٦١٣؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٥١٠ .

(٣) القمي، تفسير القمي، ج١، ص١٧١.

(٤) الطوسي، التبيان فيتفسير القرآن،ج٢، ص٤٠٥.

يباشروا أمور الحقوق إلا بوليّ"[٢]،كما أن الآية أرست مبدأً تشريعيا يتمثل في "إقامة الولي مقامهم في المعاملات لحماية حقوقهم"[٣]، وبذلك يتضح أن القرآن الكريم ضمّ فئة ذوي الضعف العقلي أو الإدراكي ضمن خطابه التشريعي، مُقرِّراً حقهم في الرعاية القانونية، وصون كرامتهم من الاستغلال والضياع.

وذكر أن المقصود بـ"الأعمى" هو عبد الله بن أم مكتوم[٤]، وأنّ الآية نزلت لتقرير مبدأ المساواة بين الناس، وأنّ الإعاقة البصرية لا تُنقص من قدر الإنسان، ولا تُبرّر التمييز بينه وبين غيره، إذ أنّ سياق الآية يرشد

في ضوء هذه التفسيرات يتبين أن القرآن أراد ترسيخ مبدأ إنساني عميق، يتمثّل في احترام ذوي الإعاقة، وعدم التمييز بينهم وبين غيرهم، بل وتقديمهم عند الحاجة، بما يحفظ كرامتهم الإنسانية ويجعلهم جزءًا أصيلًا من المجتمع .

كما ورد في القران الكريم إشارات الى بعض حالات الإعاقة كالصم ،والعمى، والابكم وغيرها في سياقات مجازية تستخدم لضرب الامثال وبيان حال الكافرين والمعرضين عن الحق دون ان يراد بها الإساءة الى ذوي الاحتياجات الخاصة وانما جاءت بوصفها أساليب بلاغية لتقريب المعاني وتوضيحها إلى جانب الآيات التي تناولت ذوي الاحتياجات الخاصة بصياغة صريحة، يورد القرآن الكريم عدد من الآيات التي تستعمل مفردات الإعاقة على نحوٍ مجازيّ وتمثيلي، لا بوصفها حالات جسدية أو اجتماعية واقعية، ويُعدّ هذا الاستخدام البلاغي من أبرز الأساليب القرآنية في تصوير الفارق بين الهداية والضلال، إذ تُستعار الإعاقات الحسية للدلالة على حالة عقلية أو نفسية يعيشها الإنسان عندما ينغلق عن الحق أو يُعرض عن البصيرة، ومن ثَمّ، فإن هذه الآيات

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٤٠٥.

(٢) الصافي، تفسير الصافي، ج١، ص٣٣٢.

(٣) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣٢٤.

(٤) عبد الله بن أم مكتوم هو عبد الله – وقيل عمرو – بن قيس بن زائدة، من بني عامر بن لؤي، ويُنسب إلى أمه عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة المخزومية، وكانت تُكنّى أم مكتوم، فنُسب إليها. وكان أبوه خال السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) وتذكر بعض الروايات أن اسمه قبل الإسلام كان حصينًا، فسمّاه النبي عبد الله بعد إسلامه، أُصيب عبد الله بالعمى في طفولته، أسلم في أوائل الدعوة المكية، وكان شديد التعلّق بالقرآن، حريصا على سماعه وتعلّمه من النبي . وقد نزلت فيه آيات صدر سورة عبس:﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾، كان من أوائل المبعوثين إلى المدينة قبل الهجرة مع مصعب بن عمير لتعليم الناس القرآن والدعوة إلى الإسلام، وقد أقام لاحقًا في صفّة مسجد النبي ، ثم أنزله الرسول في بيت مخرمة بن نوفل، إذ كان أحد مؤذني رسول الله إلى جانب بلال بن رباح، وكانا يتناوبان الأذان والإقامة، كما استخلفه النبي على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزوات متعددة، منها: أُحد، والخندق، وبنو النضير، وبنو قريظة، كان عبد الله حريصًا على المشاركة في الجهاد، ويُروى عنه قوله:"أعطني الراية، فإني أعمى لا أستطيع الفرار"،وذكر كما أنه شارك في معركة القادسية حاملًا راية سوداء، واختلف في مصيره بعدها؛ فقيل إنه قُتل في المعركة، وقيل إنه عاد إلى المدينة وتوفي فيها. ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٩٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٣٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٩٧، ٩٩٨.

لا تعالج أحكاماً أو حقوقاً تتصل بذوي الاحتياجات الخاصة، بل تُوظِّف صور الإعاقة توظيفًا جمالياً وتربوياً لتقريب المعاني وإبراز أثر الإيمان في فتح البصيرة، وأثر الجحود في إطفاء النور المعرفي لدى الإنسان.

ومن الآيات ذات الدلالة المجازية على الإعاقة قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**﴾[١]، إذ أن المقصود بالعمى في الآية هو العمى القلبي، مع استعمال العمى الحسي كتشبيه ضمني لحال المكذّبين[٢]، كما ورد أن المراد بالعمى هنا هو عدم الانتفاع بالبصيرة، وأن التعبير جاء على سبيل التشبيه بالعمى الحسي[٣]، كذلك جاء في تفسّر العمى بالعمى عن الحق، مع إبراز البعد البلاغي الذي يجعل اللفظ ذا دلالة ضمنية على الإعاقة البصرية[٤] (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) اضافه مع التفسير

في قوله تعالى:﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾[٥]، إذ لا يراد به العمى الحسي، بل العمى المعنوي الذي يُصيب القلب والبصيرة نتيجة الإعراض عن ذكر الله، فالعمى في الآية ليس فقدان القدرة البصرية، بل فقدان الهداية وفقدان رؤية طريق الحق، ولذلك احتجّ الكافر في الآية قائلاً: ﴿**رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا**﴾[٦] أي كنت

مبصراً في الدنيا من حيث الحواس، لكن الله يردّ عليه بأنه كان أعمى القلب عن الحق.

ورد في تفسير العمى في هذه الآية بأنه التحيّر والضلال يوم القيامة، وهو جزاء لعمى القلب عن آيات الله في الدنيا كما ذكر أن المقصود بالعمى هنا هو عمى البصيرة، وأن الإنسان يُحشر يوم القيامة على الهيئة التي كانت باطنه عليها في الدنيا؛ فمن كان قلبه منغلقا عن الهداية، ظهر على صورة العمى في الاخرة كما ورد وأن العمى يوم القيامة هو تجسيد لحالة الانغلاق الروحي التي عاشها الإنسان بسبب إعراضه عن الذكر [٧].

وهكذا تكشف التفاسير أن مفردة "العمى" في الآية أسلوب بلاغي يراد به الإشارة إلى أثر الإعراض عن الهداية، وأن الإعاقة هنا جاءت مجازاً للتعبير عن الضياع الروحي وانعدام الرؤية القيمية، لا أنها نقيصة في ذوي الإعاقة، بل هي استعارة لتجسيد حالة الكافر الباطنية.

كما جاء في قوله تعالى : ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا** ﴾[٨]،توظف الأعمى والأصم والبصير والسميع كمجاز لتصوير حالة الإنسان الروحية والمعرفية، فالقرآن يقارن بين فريقين:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، ص ٩٦–٩٧.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،ج٥، ص ٢١٤–٢١٥.

(٤) البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢١٥–٢١٦.

(٥)سوره طه، الآيات: ١٢٤.

(٦) سورة، طه، الآية: ٢٥.

(٧) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القران، ج٦، ص٢٩٢، الطبطبائي ،الميزان في تفسير القران،ج١٤،ص٣٢–٣٣، مكارم الشيرازي ،تفسير الامثل ،ج١١،ص٦٤–٦٥.

(٨)سوره هود، الآية: ٢٤.

أصحاب البصيرة والسمع القلبية وأصحاب العمى والأصم الباطني، وليس المقصود الإعاقة الحسية الحقيقية، ويعبر العمى عن غياب البصيرة عن الحق، والأصم عن فقدان القدرة على سماع أمر الله وقول الحق في القلب، بينما البصير والسميع يرمزان إلى استقبال الهداية واستيعاب الحقائق(١).

أن هذه الصورة البلاغية تعكس الاختلاف الجوهري بين المؤمن الذي يهتدي إلى الحق والجاحد الذي يغلق قلبه عن الهداية، وأنها استعارة تربط بين حالة الباطن والمجاز الخارجي للإعاقة(٢)، كما أن هذه الآية تهدف إلى تنبيه الإنسان على الفرق بين الفهم الروحي والقلب المفتوح عن الحق وبين الانغلاق الروحي، وأن استخدام الأسماء الحسية للأعضاء يأتي لتقريب المعنى للقارئ بأسلوب سهل الاستيعاب(٣).

وهكذا، يظهر في التفاسير أن الإعاقة في هذه الآية مجازية بالكامل، لتعبر عن العمى الروحي والسمع الباطني، وليس الإعاقة الحسية، بل هي أسلوب بلاغي لتوضيح الفرق بين حالتين: الهدى والضلال.

وردت في القرآن الكريم مفردة "المعوقين" في قوله تعالى:﴿ **وَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾(٤)، وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بهذه المفردة ليسوا ذوي الإعاقات الجسدية أو الحسية الذين يُعرفون اليوم بذوي الاحتياجات الخاصة، وإنما المنافقون والمثبطون الذين كانوا يُعيقون المؤمنين عن الجهاد ويصرفونهم عن نصرة الدين(٥)، فالإعاقة في هذا السياق إعاقة معنوية وإيمانية، وليست بدنية أو حسية.

وعليه، فإن لفظ "المعوقين" في هذه الآية لا يدل على أصحاب العاهات الجسدية أو الإعاقات الحسية، بل على فئة المعوقين فكرياً وإيمانياً الذين يتسببون في تعطيل مسيرة الطاعة والإصلاح، ومن هنا يبرز الفرق بين الإعاقة الجسدية المعذورة شرعاً التي رفع الإسلام عنها الحرج، والإعاقة القلبية والإيمانية التي تُعدّ مذمومة لأنها تنشأ من ضعف الإرادة وفساد النية.

ومن الآيات التي استخدم فيها القرآن الكريم مصطلحاتٍ تتصل بذوي الاحتياجات الخاصة مجازياً ، كالعمى والصمم والبكم قوله تعالى:﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾(٦)، غير أنّها وردت هنا بمعناها المجازي، للدلالة على انغلاق القلوب عن سماع الحقّ وإدراك الهداية(٧)، ومع ذلك، فإنّ اختيار هذه المفردات واستحضارها كرموزٍ بيانية في سياقاتٍ تربوية ودعوية، يدل على حضور ذوي الإعاقات في الخطاب القرآني سواء في معناه الواقعي

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص١٩٨.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص١٤٥-١٤٦.

(٣) مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٩، ص٢١٠-٢١١

(٤) سورة الأحزاب، اللآية: ١٨.

(٥) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٨، ص٢٢٥؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن،ج٨ ،ص٢٥٠؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٣٠٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨.

(٧) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٨٤

أو الرمزي، إذ شبّه الله تعالى الكفار في تركهم قبول الحق بالصمّ الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا ينطقون، والعمي الذين لا يبصرون، تنبيهاً على شدة عنادهم وبعدهم عن الهداية(١).

وهكذا يتّضح أن القرآن الكريم جعل أوصاف ذوي الاحتياجات الخاصة، رموزاً لحقائق روحية ومعنوية، تؤكد أن الكمال الحقيقي لا يكون بالجسد، وإنما بالبصيرة والاهتداء إلى الحق.

كما عالج الإسلام من خلال القرآن الكريم قضية العاهة والإعاقة بوعيٍ متكامل؛ فلم يُنكر وجودها، ولم يُغفل أثرها على أصحابها، بل وجّه الإنسان إلى الصبر على ما يواجهه من ابتلاءات في نفسه أو ماله أو أهله، كما في قوله تعالى:﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلأَرضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُم إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبلِ أَن نَّبرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِير لِّكَي لَا تَأسَوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُم وَلَا تَف رَحُواْ بِمَا ءَاتَىٰكُم وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُختَال فَخُورٍ** ﴾(٢).

اتفقت التفاسير على أن هذه الآية تعمّ جميع أنواع الابتلاءات، وتشمل صراحة العاهات والعلل البدنية كالعمى والعرج والمرض(٣)، وهذا يضع ذوي الإعاقة في صميم الخطاب القرآني، باعتبار حالتهم ليست خارج الإرادة الإلهية، بل هي جزء من نظام الابتلاء والتقدير الإلهي، الذي يهدف إلى تهذيب الإنسان، وضبط مشاعره بين الحزن والفرح، وتثبيت مقام الصبر والرضا، فهي آياتٌ تُقرّر حقيقة أزلية، وهي أنّ كل ما يجري في هذا الكون إنما هو بقضاء الله وقدره، لتغرس الطمأنينة في قلب المؤمن، فيستقبل المصائب برضا وصبر، ويقابل النعم بشكر وتواضع.

اذا فالابتلاء وسيلة للتخلص وتهذيب النفوس كما في الآية الكريمة: ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ** ﴾(٤)، إلى سنّةٍ إلهية جارية في حياة الإنسان، تقوم على مبدأ الابتلاء بوصفه وسيلةً للتمحيص وتهذيب النفوس، فقد بيّن المفسّرون أن المقصود بالبلاء في الأموال هو ما يصيب الإنسان من نقصٍ أو فقدانٍ أو إنفاقٍ في سبيل الله، أمّا البلاء في الأنفس فيشمل ما يعانيه من أمراضٍ أو إعاقاتٍ أو مصائبٍ بدنيةٍ ونفسيةٍ مختلفة، لتظهر من خلالها مراتب الصبر والثبات على الإيمان، وذكر أنّ الامتحان الإلهي في النفس والمال ليس عقوبةً، بل تمحيصٌ وتمييزٌ بين الصادق والمنافق، ليُعرف المؤمن بمدى صبره وثقته بالله(٥)، ومن خلال ذلك يتضح أنّ الابتلاء الذي يتعرض له ذوو الاحتياجات الخاصة لا يُعدّ نقصًا أو إهانة، بل هو مظهرٌ من مظاهر الاصطفاء الإلهي الذي يُظهر من خلاله اللهُ تعالى صدق إيمان عباده وصبرهم، فيرتقي المبتلى بالصبر إلى مراتب عالية من الكمال الروحي والإيماني.

---

(١) الطوسي، التبيان، ج١، ص٨٩ .

(٢) سورة ، الحديد، الآيات:٢٢-٢٣.

(٣) القمي، تفسير القمي،ج٢، ص٣٦٥؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٢١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٢١؛ الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج٥، ص١٩٠؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص١٥٢.

(٤)سورة آل عمران، الآية ١٨٦.

(٥) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٥.

كما اشارت تُشير الآية الكريمة:﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾[١]، إلى مظهرٍ من مظاهر الرحمة الإلهية في التشريع، إذ يُراعي الله تعالى طبيعة الإنسان وضعفه في الأحكام والتكاليف، فلا يُكلِّفه ما لا يطيق، بل جعل التيسير أصلًا في التشريع الإسلامي، فضعف الإنسان هنا لا يُفهم بمعنى النقص، وإنما بوصفه سمةً فطريةً تقتضي اللطف الإلهي والتخفيف في التكاليف، قد ورد أن معنى التخفيف هو "أن الله تعالى راعى ضعف الإنسان فشرّع له ما يطيق، ونهى عمّا يشق عليه، تيسيرًا ورحمةً بخلقه"[٢]. كما ذكر أن الآية "تعبّر عن أصلٍ عام في التشريع الإلهي يقوم على ملاحظة الطبيعة الإنسانية المحدودة في قدرتها، فجعل الله التخفيف قاعدةً تضمن التوازن بين العبادة والطاقة"[٣].

ومن خلال هذه الرؤية التفسيرية يتضح أن الإسلام في تشريعاته يُراعي اختلاف قدرات الأفراد، بمن فيهم ذوو الاحتياجات الخاصة، فيجعل التكليف بحسب الوسع والطاقة، تأكيداً لمبدأ العدالة الإلهية والرحمة في التعامل مع الضعف البشري.

يُعدّ الصبر من القيم الإنسانية والإيمانية الكبرى التي حثّ عليها الإسلام، وهو من أبرز السمات التي تُمتحن بها إرادة الإنسان وقوة إيمانه عند مواجهة البلاء والشدائد، ولعلّ ذوي الاحتياجات الخاصة يمثلون النموذج الأوضح للصبر العملي، إذ يواجهون في حياتهم ابتلاءاتٍ متنوعة في أبدانهم أو حواسّهم أو قدراتهم، لكنّهم بصبرهم وثباتهم يُجسّدون أرقى معاني الرضا والتسليم بقضاء الله. وقد أولى القرآن الكريم هذه الفئة عنايةً خاصة، فربط بين الابتلاء وعلوّ الدرجات، وبين الصبر والجزاء العظيم، قال تعالى:

﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[٤] ،تُبرز هذه الآية الشريفة المقام الرفيع للصابرين الذين يُسلِّمون لأمر الله تعالى عند نزول البلاء، فيرون في المصيبة امتحانًا للثبات والإيمان، لا موطنًا للجزع واليأس، وقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[٥] "هو اعترافٌ من المؤمن بأنّ نفسه وماله لله تعالى، وأنّ الله هو المالك الحق، فمتى أخذ منه شيئًا فلا اعتراض عليه، لأنّ الرجوع إليه حقٌّ محتوم"[٦] .

كما جاء في تفسير هذه الآية: " أن فيها تسليةٌ للمؤمنين، وتوجيهٌ لهم إلى الصبر عند نزول المصيبة، لأنّ العبد إذا علم أنَّه مملوكٌ لله تعالى، وأنّ ما عنده عاريةٌ بيده، لم يحزن لفقده، بل يرضى بالقضاء ويستبشر بثواب الله"[٧] .

---

(١) سورة النساء، الآية ٢٨.

(٢) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص١٢٢.

(٣) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ص٣٤٧.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ــ١٥٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٥

(٦) القمي، تفسير القمي، ج١، ص ٥٣.

(٧) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص ٣٩٥.

ومن خلال هذه التفاسير، يتضح أن القرآن الكريم لا ينظر إلى المصيبة على أنها عجزٌ أو ضعفٌ، بل امتحانٌ إلهيٌّ يُنقّي النفس ويُربّيها على الرضا والتسليم، وهو مبدأٌ عظيم يُطبَّق كذلك على ما يبتلى به ذوو الاحتياجات الخاصة من إعاقات جسدية أو نفسية، إذ يكون صبرهم مظهرًا من مظاهر الإيمان واليقين بعدل الله وحكمته.

يتّضح من مجموع الآيات القرآنية أنّ القرآن الكريم قد تناول قضية ذوي الاحتياجات الخاصة بعمقٍ إنساني وتشريعي، فبيّن أن الإعاقة، على اختلاف صورها ، ليست نقصا في الكرامة الإنسانية، بل مظهرٌ من مظاهر الابتلاء الإلهي الذي يُراد به تهذيب النفس ورفع الدرجات، كما فرّق القرآن بين العجز الجسدي المعذور شرعا الذي رُفع عنه الحرج، والإعاقة الإيمانية والمعنوية التي تمثّل تقصيرا واختيارا في الطاعة

كما أنّ الخطاب القرآني لم يُغفل البعد الروحي والنفسي لهذه الفئة، فربط بين الابتلاء والصبر، وبين الصبر والجزاء العظيم، مما يجعل ذوي الاحتياجات الخاصة نموذجًا عمليًا لمعاني الصبر والإيمان في المجتمع الإسلامي.

وعليه، فإنّ الرؤية القرآنية تُقدّم منظورا تكريميا شاملاً للإنسان، لا يُقاس فيه الكمال بسلامة الجسد، بل بصفاء الإيمان وحسن العمل، وهو ما يجعل الإسلام سبّاقا في إرساء حقوق ذوي الإعاقة ودمجهم في المجتمع بروحٍ من الرحمة والمساواة ومن هذا المنطلق يمكن القول ان ذكر هذه الفئه في القران الكريم يجسد اعترافا بوجودها ضمن النسيج الاجتماعي ودعوه الى التعامل معها برفق وانصاف بما ينسجم مع مقاصد الشريعه في رفع الحرج وتكريم الانسان ايا كانت حالته .

ثانياً: : ذوو الاحتياجات الخاصة في السنة النبوية :

عُرِفت السنة النبوية بأنها كل ما صدر عن النبيّ محمدٍ(□) من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير[١]، وقد تجلّت من خلالها أسمى معاني الرحمة والعدل والرأفة بجميع فئات المجتمع، ولا سيّما ذوي الاحتياجات الخاصة، فقد جسّد(□)، من خلال مواقفه العملية وتعاملاته اليومية، مبدأ المساواة، بما يعكس عمق العناية النبوية بحقوقهم، إذ اعتنى النبي(□) بذوي الاحتياجات الخاصة عناية خاصة تجسيدًا لما دعا إليه القرآن الكريم من رحمة وإنصاف، ومن ذلك ما ورد عنه قوله(□):" **ابغوني الضعفاء، فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم**"[٢]، ويُعد هذا الحديث من الأحاديث النبوية التي تجلّي مكانة ذوي الاحتياجات الخاصة (الضعفاء)في المجتمع الإسلامي، إذ يجعل الحديث الرزق والنصر الإلهي مرتبطين بوجود هذه الفئة التي تنبع منها بركات الدعاء والإخلاص، وقد ورد بإسناده عن الإمام الصادق(عليه السلام)، وذكر أن المراد بالضعفاء هم أولئك الذين لا حيلة لهم، ولكنّهم أقرب إلى الله بدعائهم وإخلاص نياتهم[٣]، ويدعو الحديث إلى رعاية الضعفاء والمساكين، لأنّهم سبب في نزول الرحمة

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٥٣.

(٢) أبو داود ،سنن ابي داود،ج٣، ص١٣٢.

(٣) الصدوق، الأمالي، ج ١، ص ٢٣٦.

ودفع البلاء عن الأمة، لما لهم من صدق التوجه إلى الله تعالى[١]، كما ذكر بأن هذا الحديث يدعوا الى البعد الاجتماعي في النصر، فكما أنّ القوة المادية عنصر في الانتصار، فإن القوة الروحية المتمثلة في دعاء الضعفاء والمبتلين تُعدّ سببًا غيبيًا للنصر والرزق[٢].

يتّضح أن السنة النبوية لا تنظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة نظرة عجز أو نقصان، بل تراهم مصدر قوة وبركة للأمة، إذ يتجلّى فيهم البعد الإيماني العميق الذي يجلب الرزق والنصر الإلهي.

كما أولت السنة النبوية الشريفة عنايةً خاصة بهذه الفئة، فأرست مبادئ الرعاية والدمج والمساواة، وجعلت التفاضل بين الناس قائما على التقوى والعمل الصالح لا على سلامة الجسد أو كمال الحواس، وجاء في ما يؤكد على وحدة الأمة الإسلامية وتكافل أفرادها وتراحمهم، دون تمييزٍ بين قويٍّ وضعيف، أو سليمٍ وذي احتياج خاص، قال رسول الله (□):" **مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى**"[٣].

ويُستفاد من هذا الحديث أن المجتمع المؤمن يقوم على مبدأ التراحم والتكافل بين جميع أفراده، بحيث يشعر كل عضو بآلام الآخر ومعاناته، وهو ما يشمل فئة ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يقتضي واجب الإيمان دعمهم ومواساتهم وتخفيف معاناتهم، فالمؤمنين بمنزلة الجسد الواحد، فكلّ جزءٍ منهم يشعر بألم الآخر، فكما لا يهمل الإنسان عضوًا مريضًا من جسده، كذلك لا يجوز له إهمال أخيه المؤمن في ضيقه أو ضعفه" [٤]، كما أنه يدل على وجوب التراحم والتعاضد بين المؤمنين، وأنّ أيّ خلل يصيب أحدهم يجب أن يكون موضع إحساس وسعي من الآخرين لإصلاحه[٥]، وهو دعوة إلى التكافل والتواصل، لا سيما مع الضعفاء والعاجزين، لأنّ فيهم يظهر صدق الرحمة الإيمانية[٦].

ومن خلال ذلك يظهر بوضوح أن السنة النبوية، لم تفرّق بين فئات المجتمع في مبدأ التعاطف والتكافل، بل أكّدت على شمول هذا الواجب لذوي الاحتياجات الخاصة، بوصفهم جزءاً من الجسد الإنساني والإيماني الواحد.

كما ورد في السنة النبوية ما يُظهر تقدير النبي(□) لذوي الاحتياجات الخاصة وإعطاءهم مكانتهم في المجتمع الإسلامي والآخرة، حتى في ميادين الجهاد، عن عمرو بن الجموح[٧]، الذي كانت رجله عرجاء: أتى

---

(١) الفيض الكاشاني، الصافي،ج٤، ص ١٥٢.

(٢) المجلسي ،بحار الأنوار، ج ٧٤، ص٣١٢.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٩٩.

(٤) الفيض الكاشاني، الصافي ، ج ٣، ص ١٤٢.

(٥) المجلسي، مرآة العقول، ج ٨، ص ٢٣٥.

(٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٦٧.

(٧) عمرو بن الجموح الأنصاري الخزرجي، كُنيته أبو عمرو، كان من كبار الأنصار وسادات عشيرته، وُلد قبل الهجرة النبوية، وشارك مع النبي □ في الغزوات، وكان أعرجًا ، تزوج من هند بنت عمرو بن الحارث، وأنجب منها أربعة أبناء هم: معاذ، ومعوّذ، وخلّاد، وعبد الرحمن، وقد شهد أبناؤه معارك بدر وأحد إلى جانب المسلمين اشتهر بشجاعته وإيمانه العميق، ففي غزوة أحد، رغم إعاقته الجسدية، أصر على الانضمام إلى القتال فقال لقومه:" يذهب أولادي إلى الجنة وأنا أجلس عندكم"، تدخل النبي □ لإقناع عشيرته بالسماح له بالقتال، فأذن له بالمشاركة، ودعا له بالشهادة، وكانت دعوته قبل المعركة:" اللهم لا تردني إلى

عمرو بن الجموح إلى رسول الله(□) فقال: "يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟"، فأجابه النبي(□): "نعم"[١]، فقتل عمرو وابن أخيه ومولى له، ومر النبي(□)عليهما فقال: " كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة"، وأمر أن يُدفنوا في قبر واحد[٢].

هذا الحديث يؤكد أن السنة النبوية لم تنظر إلى الإعاقة كعائق أمام العمل الصالح أو الجهاد في سبيل الله، بل اعتبرت الايمان معياراً للتكريم والمكافأة، ومن هذا المنطلق، فإن رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في الإسلام تشمل التقدير العملي والروحي والمعنوي، مع توظيف الثواب الأخروي كحافز وجداني ونفسي لتعزيز الصبر والكرامة والاندماج الاجتماعي.

أولت السنة النبوية عنايةً متميزة بذوي الاحتياجات الخاصة، فحرصت على صيانة كرامتهم الإنسانية من كل ما يُشعرهم بالنقص أو الحرج، ويتجلى ذلك في قول النبي(□): " لا تُديموا النظر إلى أهل البلاء والمجذومين، فإن ذلك يُحزنهم"[٣]، وهو توجيه نبوي عظيم يعكس حسًّا إنسانيًا رفيعا يهدف إلى حماية مشاعر ذوي الإعاقات الجسدية، ومنع الأذى النفسي الذي قد تسببه نظرات الشفقة أو الفضول، فالحديث يؤكد أن الأذى اللفظي أو البصري داخل في عموم النهي النبوي عن الإيذاء، لأنه يجرح النفس ويهدر الكرامة[٤]، إذ كان النبي(□) يربي الأمة على أدبٍ رفيع في التعامل مع أصحاب البلاء، لأن إدامة النظر تُورث الحزن في قلوبهم، والنهي عنها هو تعزيز لمبدأ الستر والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع[٥].

يظهر أن السنة النبوية أرست أسساً حضارية في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، فاحترمت خصوصيتهم، ووجّهت إلى التعامل معهم بلطف ورحمة، وهو ما يعكس عُمق البعد الإنساني في التشريع النبوي الذي يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي وصيانة الكرامة البشرية.

كما أولت السنة النبوية اهتماما خاصاً بذوي الإعاقات الحسية، وخاصة الصمّ، من خلال توجيهات عملية تهدف إلى تمكينهم من المشاركة الفاعلة في المجتمع دون إحراج أو أذى نفسي، ومن ذلك قول النبي(□):" إسماع الأصم من غير تضجّر صدقة"[٦]، وقد ورد أن معنى الحديث يدل على أن المعاملة اللطيفة مع ذوي الاحتياجات الخاصة تعتبر من القربات الطوعية، وتحقق المساواة الإنسانية والاجتماعية، وأن توفير فرصة

أهلي"، ستشهد عمرو بن الجموح في أحد، ودفن النبي □ جثمانه مع جثمان ابنه وعمرو بن حزام الأنصار. البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٢٠٣.ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٢٠–١٢١؛المفيد، المختصر في سير الصحابة، ص٤٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص٣٢.

(١) الترمذي، سنن الترمذي، ج٢، ص٢٩٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٥١٢.

(٣) أبن أبي الدنيا، المرض والكفّارات، ص ١١٢؛ ابو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٣، ص ٩٧.

(٤) أبن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج١٠، ص٣٤٧.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٥.

(٦) أبو داود، سنن أبي داود، ج٣، ص٥٢؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج٢، ص١٨٠.

سماعهم والتفاعل معهم دون مضايقة أو ضجر يُعد من الأعمال الصالحة[١]،وعلى ذلك أن التعامل مع ذوي الصمم يجب أن يكون برفقٍ وهدوء، دون تعجل أو انزعاج، مما يعكس قيمة الرحمة والكرامة الإنسانية في التشريع الإسلامي.

يتضح أن السنة النبوية اهتمت بالجانب النفسي والاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة، مؤكدة على وجوب التعامل معهم برفق وكرامة، وهو ما يعكس مقاصد الشريعة في رفع الحرج عن هذه الفئة وحمايتها من الإحباط أو الشعور بالدونية، وتكريس ثقافة الاحترام والمساواة بينهم وبين باقي أفراد المجتمع.

ذكر عن الرسول محمد(□) بعد رجوعه من تبوك(٩هـ) حيث قال: "**إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة**"، فقال الصحابة: "كيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟"، فأجاب النبي(□) : "**حبسهم العذر فشركوا بحسن النية**"[٢]، ويُعدّ هذا الحديث من أعظم الشواهد النبوية على مبدأ المساواة في الأجر والنية، وخاصة فيما يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة الذين يُعذرون عن المشاركة في الأعمال الميدانية بسبب مرضٍ أو عجزٍ بدني، فالنبي(□) قرّر قاعدةً عظيمة مفادها أن النية الصادقة مع العذر تُسوّي بين القادر والمعذور في الأجر، حيث يدلّ الحديث على أن العذر الشرعي لا يمنع من لحوق الثواب لمن كانت نيته خالصة، وأن الله تعالى يُثيب النية الصادقة كما يثيب الفعل، إذا مُنع منها العبد بغير اختياره[٣].

ومن النماذج البارزة التي جسدت فيها السيرة النبوية مبدأ الرحمة والمساواة مع ذوي الاحتياجات الخاصة، ما روى:" إنَّ رجلاً قال: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنِّي لأتأخَّرُ عن صلاةِ الغداةِ من أجلِ فلانٍ مما يطيلُ بنا"، قال الراوي: فما رأيتُ رسولَ اللهِ (□) في موعظةٍ أشدَّ غضباً منه يومئذ، ثم قال:" أيها الناس، إنَّ منكم مُنَفِّرين، فمن أمَّ الناسَ فليُتَجَوَّزْ، فإنَّ فيهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة"[٤].

وكذلك ما روى عن النبيّ(□) أنه قال: "إذا أمَّ أحدُكم الناسَ فليُخَفِّف، فإنَّ فيهم الصغيرَ والكبيرَ والضعيفَ والمريضَ، وإذا صلّى وحده فليُصَلِّ كيف شاء"[٥].

ومما ورد في السنة النبوية من الشواهد الدالة على عناية النبي (□) بذوي الاحتياجات الخاصة ومراعاته لأحوالهم، ما رواه عبد الله بن عمرو الثقفي، قال:" أنّ رسولَ اللهِ (□) قال له: امْ قَوْمَكَ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إني أَجِدُ في نفسي شيئاً، قال: ادْنُه، قال: فجلسني بين يديه، ثم وضع كفَّه في صدري بين ، ثم قال: امْ قَوْمَكَ، فمن أمَّ قومًا فليُخَفِّف؛ فإن فيهم الكبيرَ، وإن فيهم المريضَ، وإن فيهم الضعيفَ، وإن فيهم ذا الحاجة، فإذا

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص٤٢.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص٢٤٧٢.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٧٩.
(٤) البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص١٥٨.
(٥) البخاري، صحيح البخاري،ج٢،ص١٦٢.

صلى أحدكم وحده فليصلِّ كيف شاء"[١]، ويُلاحَظ من هذا التوجيه النبوي أن في المسلمين من لا يطيق التطويل في الصلاة، إمّا لكبر سنّه، أو ضعف جسده، أو مرضه، أو لوجود حاجة ملحّة تضطره لعدم القدرة على التحمل؛ وهو ما يدلّ بوضوح على وجوب مراعاة العاجزين وذوي الاحتياجات الخاصة داخل الجماعة، وأن التخفيف في الصلاة تشريعٌ مقصودٌ لحمايتهم ورفع الحرج عنهم.

وأهتمت السنة النبوية بالحفاظ على الكرامة ذوي الاحتياجات الخاصة ورفع الحرج عنهم، ومن ذلك توجيه النبي (□) في حال رؤية ذوي العاهات أو المصابين بالبلاء، حيث قال:" **من نظر إلى ذي عاهة أو من قد مثل به أو صاحب بلاء فليقل سرا في نفسه من غير أن يسمعه: الحمد لله الذي عافاني**"[٢]، ويُبرز هذا الحديث أهمية السكوت عن انتقاد أو تذكير الشخص بذاته أو حاله المرضية أو الإعاقة، مع التركيز على الشكر لله والاعتراف بالنعم، مما يعكس قيم الرحمة والمراعاة والرفق التي أكدت عليها السنة النبوية في التعامل مع جميع الفئات، وخصوصًا ذوي الاحتياجات الخاصة، كما أكدت السنة النبوية على مراعاة حقوق ذوي الأحتياجات الخاصة وحفظ كرامتهم في جميع تعاملاتهم اليومية والاجتماعية والدينية، فقد جعل النبي(□) الإحسان إليهم وخدمتهم من أبواب الثواب والصدقة، وبيّن أنه يجب التعامل معهم برفق ورحمة ورفع الحرج عنهم، ويتضح هذا الاهتمام في حديث أبي ذر(ﷺ)[٣]، حيث روى أن النبي(□) قال: **على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه، فقال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، من أين أتصدق وليس لنا أموال؟ فقال النبي(□):"لأن من أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظم والحجر، وتهدي الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه، وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها، وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف، كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك**"[٤] ويُظهر من هذا الحديث أن مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، وتيسير أمرهم، وتقديم العلم لهم، وإزالة الحرج عنهم يعد من أعظم الصدقات وأبواب الأجر، مما يعكس روح الرحمة والمساواة التي أكّدتها السنة النبوية في التعامل مع جميع فئات المجتمع، وخصوصًا ذوي الاحتياجات الخاصة.

وجاءت السنة النبوية المطهرة حافلة بالأحاديث التي تحمل دلالات رمزية وإنسانية عظيمة في الحث على مساعدة ذوي الإعاقات البصرية، بما يعكس عمق الرؤية النبوية في بناء مجتمعٍ متكافلٍ لا يُقصي أحداً بسبب عجزٍ أو قصورٍ بدني، ومن أبرز تلك الأحاديث ما روي عن النبيّ(□) أنه قال:" **من قاد ضريرا أربعين خطوة**

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم، ج١،ص ٤٦٥.

(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ص ٩٩.

(٣) جندب بن جنادة وقيل أن اسمه برير بن جنادة بن كعيب بن صعير بن الوقعة بن حرام بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ان أبو ذر يتأله في الجاهلية ويقول: لا إله إلا الله. ولا يعبد الأصنام حتى اسلم بين يدي الرسول محمد(□)، آخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمرو، وكان من أهل الصفة إذ انه أستوطن المسجد، كان يشبه بعيسى بن مريم عبادة ونسكا، عرف بألتزامة بقوصية الرسول حيث كان يقول " امرني رسول الله ان أقول الحق وان كان مراً ولا تأخذني في الله لومة لائم" توفي بالربذه سنة ٣١هـ ، وقيل إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود. ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٤،ص١٦٥؛ الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٥٧،

(٤)ابن حنبل، مسند أحمد، ج٣٥، ص٣٨٣.

على أرضٍ سهلةٍ لا خوفَ عليه فيها، أُعطي بكل خطوةٍ قصراً في الجنة مسيرة ألف سنة لا يفي بقدرها جميع صِلاع الأرض ذهباً"(١).

ويُعد هذا الحديث من النصوص التي ترمز إلى تكريم ذوي الاحتياجات الخاصة عبر جعل خدمتهم طريقًا إلى الجنة، مما يعكس تصورا عميقا للبعد الروحي والاجتماعي في الرعاية النبوية، ويعبر هذا الحديث عن البعد الإنساني العميق في السيرة النبوية، إذ جعل النبيّ(□) من رعاية ذوي الإعاقة وسيلةً لتزكية النفس وميدانا لتطبيق الرحمة الإلهية، مؤكّدًا أن الجزاء المذكور هو من باب المبالغة في الترغيب، لا لبيان العدد فحسب، بل للدلالة على عظمة الفعل في ميزان الرحمة الإلهية(٢)، إذ لم يجعل المعاملة مع ذوي الإعاقة مبنية على الشفقة المجردة، بل على المسؤولية الإيمانية والجزاء الأخروي، وبذلك نقلها من مفهوم الإحسان الفردي إلى واجبٍ إنسانيٍّ تعبّدي، كما أن الأجر المضاعف الذي وعد به الحديث يُظهر عظمة المقصد النبوي في دمج ذوي الإعاقة في الحياة العامة، وتحفيز المجتمع على مشاركتهم وتيسير شؤونهم اليومية، ليكونوا جزءاً فاعلاً من البناء الاجتماعي لا عالة عليه.

كما اكدت السنة النبوية على الرفق بذوي الاحتياجات الخاصة وهو ما إشارة الية رسول الله (ص) في حديثه لعمر بن الخطاب أن النبي(□) قال له: "**يا عمر، إنك رجل قوي، لا تُزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، وإن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله فهلِّل وكبِّر**"(٣) ويعد هذا الحديث تأصيل لمبدأ الرفق بذوي الاحتياجات الخاصة ومن في حكمهم من الضعفاء والمرضى وكبار السن وأنه سدّ الذريعة إلى الأذى في الحرم، وإشاعة خُلُق الرحمة في مناسك الطاعة(٤)، فهو لا يقتصر على الموقف المكاني، بل يؤكد أن حفظ كرامة الإنسان وضعفه مقدّم على أداء النسك بالهيئة الكاملة، وهذا التوجيه بأنه شاهد على توازن السلوك التعبّدي في الإسلام بين الظاهر والباطن، وبين مراعاة الحُرُمات ومشاعر الضعفاء(٥)، وبذلك نجد إن هذا الحديث يُجسِّد نموذجاً عمليّاً لدمج ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة الدينية والاجتماعية، إذ جعل النبي(□) من الرحمة قاعدةً للتعامل، ومن الرفق سلوكًا تعبّدياً، بما يعكس عظمة التشريع النبوي في بناء مجتمعٍ إنسانيٍّ متكافل.

ويتّضح مما تقدّم أنّ السنة النبوية الشريفة وضعت منظومة شاملة لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، امتزج فيها البعد الروحي بالجانب الاجتماعي والإنساني، فكانت تكريمًا لهذه الفئة ورفعًا لمكانتها في المجتمع. وقد ربطت السنة بين البلاء والصبر والثواب، مما منح ذوي الإعاقات بعدًا إيمانيا سامياً يقوم على الأجر والمثوبة، كما تجلّت عناية النبي محمد(□) بهم من خلال معاملته الرحيمة التي اتسمت بالتقدير والاحترام بعيدا عن مظاهر الشفقة أو التهميش، مؤكّدًا أن قيمة الإنسان تُقاس بإيمانه وأفعاله لا بقدراته الجسدية، وقد هدفت السنة

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٤٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٣١٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٣١٨.

(٣)أبن حنبل، مسند الأمام أحمد، ج٥، ص٣٢.

(٤) أبن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج٣، ص٤٧٨.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٨٩.

النبوية إلى ترسيخ روح المساواة والمشاركة بين جميع أفراد المجتمع، وجعلت من الصبر والرضا وحسن النية سبيلاً لرفعة الدرجات ونيل الأجر العظيم، وبذلك أرست مبدأ العدالة والرعاية التكاملية لذوي الاحتياجات الخاصة بوصفهم ركنًا أساسيًا في البناء الأخلاقي والاجتماعي للإسلام.

جاء في السنة النبوية الشريفة ان الصبر على البلاء باباً من أبواب التكفير عن الذنوب ورفعة الدرجات، وارتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بذوي الاحتياجات الخاصة لما يعانونه من ابتلاءات جسدية أو حسية. وقد ورد عن النبي(□) قال:"**إن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتَباً**"[١].....: "**عوضته منهما الجنة، وهذا أعظم العوض، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا، والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها، وإذا هو حمدني عليهما، وإذا كان ثواب من وقع له ذلك الجنة، فالذي له أعمال صالحة أخرى يُزاد في رفع الدرجات**"[٢].

كما ورد عنه الرسول محمد (□) انه قال: " **إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة، يريد عينيه**"[٣]، ويكشف هذا الحديث عن عمق النظرة النبوية لذوي الإعاقة بوصفهم أهل ابتلاء ورفعة، لا موضع شفقة أو تمييز، مثل هذا الحديث وقد فسّرت دعوة إلى الصبر والتسليم، وأن الابتلاء في الحواس ليس حرمانا بل وسيلة للتكامل الروحي ونيل المثوبة الإلهية[٤]، رحمة خفية، يُظهر بها اللهُ (ﷻ) صدق إيمان العبد وصبره، ويمنحه جزاءً لا ينقطع[٥].

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن النبي(□) لم يكتفِ بالدعوة إلى الصبر كقيمة أخلاقية، بل وظّفه كوسيلةٍ لتصحيح نظرة المجتمع نحو ذوي الاحتياجات الخاصة، من خلال إبراز مكانتهم الروحية ورفع منسوب الكرامة الإنسانية لديهم، مما شكّل خطوةً رائدة في بناء وعيٍ اجتماعيٍ رحيمٍ وعادلٍ تجاه هذه الفئة.

كما جاء حديث اخر يؤكد فية الرسول (ص) على أهمية الصبر وعلاقتلة بدخول الجنة ، إذ ربطت بين الصبر والارتقاء في درجات الجنة، فقد ورد عن النبي محمد(□)قوله:" يودُّ أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضَت في الدنيا بالمقاريض"[٦].

فقد ورد عن النبي محمد(□) قوله:" يُؤتى بالشهيد يوم القيامة فيُنصب للحساب، ويُؤتى بالمتصدق فيُنصب للحساب، ثم يُؤتى أهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، ويُصب عليهم الأجر صبًّا، حتى إن أهل العافية ليتمنّون في الموقف أن أجسادهم كانت قُرِضَت بالمقاريض من حسن ثواب الله تعالى"[١]،

---

(١) البخاري، صحيح البخاري،ج٧،ص١١٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، ج١٠، ص١١٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٧، ص ١١٦.

(٤) الكليني، الكافي،ج ٢، ص ٩؛ الفيض الكاشاني، الوافي،ج٣، ص ٢٠١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٢،ص٩٢.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج١٠، ص١١٧

(٦) الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٦٠٣.

المبحث الرابع

موقف الشرع الإسلامي من ذوي الاحتياجات الخاصة

شكّلت مقاصد الشريعة الإسلامية، التي جاءت رحمةً للعالمين، إطارا إنسانيا شاملاً اتسم بالعدالة والإنصاف، فكرّمت الإنسان دون تمييز، وأعلت من شأن الضعفاء وأوجبت رعايتهم وصون حقوقهم، ومن بينهم ذوو الاحتياجات الخاصة الذين نظرت إليهم الشريعة بوصفهم جزءًا أصيلًا من المجتمع، لهم ما لغيرهم من الحقوق والكرامة الإنسانية، وقد تجلت هذه الرعاية في أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، التي أرست مبادئ الرحمة والتكافل، ودعت في الوقت نفسه إلى الوقاية من الإعاقة وتجنّب أسبابها، تحقيقًا لمقاصدها في حفظ النفس والعقل والنسل، وبناء مجتمع متماسك تسوده الرحمة والعدالة.

١. الرعاية الفقهية :

يولي القرآن الكريم اهتماما كبيرا بالتيسير في العبادة، حيث جاء في قوله تعالى:﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[٢]، إن الآية الكريمة تمثل الأساس القرآني للرعاية الشرعية لذوي الاحتياجات الخاصة، فهي تؤكد أن التكليف مرتبط بالاستطاعة، وأن العاجز له حكم خاص في الشريعة، وقد بنى المفسرون على هذه القاعدة مفهوم الرفق بالمكلفين، مما يشكل أصلاً شرعياً لحقوق ذوي الإعاقات في الإسلام[٣].

أولى الفقه الإسلامي ذوو الاحتياجات الخاصة عناية واضحة، في بيان الحقوق وتحديد الواجبات، وذلك من خلال صياغة الأحكام التي تضمن تكريماً يتوافق مع مقاصد الشريعة القائمة على حفظ النفس والكرامة الإنسانية، **إذ** حرصت الشريعة الإسلامية على رعايتهم في جميع جوانب حياتهم، ومن أبرزها الجانب العبادي، إذ جعلت الدين الإسلامي شاملا وعادلاً في حق كل فرد مهما كانت قدراته البدنية أو العقلية، كما أولت اهتماما في تيسير العبادات على ذوي الاحتياجات الخاصة، سواء في الطهارة، وأداء الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، مع مراعاة قدراتهم وظروفهم، ورفع عنهم ما لا يستطيعون القيام به.

ففي مجال الطهارة، يُسقط التكليف عن ذوي الأعذار، ويُسمح لهم بالتيمم عند تعذر استعمال الماء، استنادًا إلى قوله تعالى:﴿ **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[٤]، وقد ورد " أن "الصعيد" هو وجه الأرض، و"الطيب" يشير إلى كونه على حال يقتضيه طبعه[٥]، مما يدل على رفع الحرج عن المكلفين في حالات العذر.

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ج١٢، ص٤٥٣؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج٧، ص١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج٣، ص١٢٩؛الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣٨٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٥) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص١٥٦–١٦٠.

تؤكد السنة النبوية على تيسير العبادات ورفع الحرج عن المكلفين عند وجود عذر شرعي أو جسدي، اذ جاء في الرواية انه جاء الى النبي (□) :"جاء رجل إلى النبي □ وهو مريض، فقال له: تيمم"[١]، ويبين هذا الحديث أن النبي(□) أقر التيمم للمريض بدل الوضوء أو الغسل، بما يحقق التيسير في أداء الطهارة دون إخلال بشرطها، كما يشمل هذا الحكم جميع الأعذار التي تمنع المكلف من استعمال الماء مباشرة، مثل المرض أو العجز أو الظروف الطارئة.

ويعكس هذا الأمر مبدأ الرحمة والمرونة في الشريعة الإسلامية، الذي اعتمدت عليه جميع المذاهب الفقهية في تيسير الطهارة لذوي الاحتياجات الخاصة، إذ أسقط المذهب الجعفري التكليف عن ذوي الأعذار، ويُسمح لهم بالتيمم عند تعذر استعمال الماء أو العجز عن استخدامه اذ ورد انه "إذا تعذر استعمال الماء، جاز التيمم بدلًا عنه"[٢].

كما بيّن الفقه الحنفي أن التيمم يُعد بديلًا للطهارة بالماء عند عدم توفره أو عند وجود عذر شرعي، مما يرفع الحرج عن المكلف ويتيح له أداء العبادات وفق قدراته، ويُسمح للمريض أو ذوي الإعاقة أو من لا يستطيع استعمال الماء بالتيمم بدل الغسل أو الوضوء، بما يحقق التوازن بين مراعاة الظروف الشخصية للعبد والحفاظ على صحة الطهارة وشرطها[٣].

وشدد المالكية على مراعاة العذر في الطهارة، مع التأكيد على وجوب التيمم عند عدم توفر الماء أو تعذر استعماله، بما يحقق التيسير والرحمة في العبادة دون إخلال بشرط الطهارة[٤].

وأكّد الشافعية على أن التيسير في الطهارة يشمل كافة الأعذار، سواء كانت مرضية أو دائمة كالاحتياجات الخاصة، ويُعتبر التيمم بديلًا عن الماء عند الضرورة، بما يرفع الحرج عن المكلفين[٥].

وركز المذهب الحنبلي على العموميات والتيسير لكل من يعذر بالعجز أو المرض، وأقر التيمم كبديل عن الماء عند العجز أو عدم التمكن منه، بما يحقق التيسير دون إخلال بشرط الطهارة[٦].

يتضح أن جميع المذاهب قد اتفقت على مبدأ التيسير ورفع الحرج في الطهارة من خلال التيمم، فجميع هذه المذاهب أقرّت أن التيمم يُعد بديلاً شرعيا للطهارة بالماء عند عدم توفره، أو وجود عذر شرعي، أو العجز عن استعماله، مما يتيح للمكلف أداء عباداته بشكل صحيح وفق قدراته، ويُظهر هذا التوافق أن الشريعة الإسلامية، على اختلاف مذاهبها، تراعي ظروف المكلفين ذوي الاحتياجات الخاصة، مؤكدة على أن رفع الحرج وتحقيق

(١) أبو داود، سنن أبي داود، ج١، ص٨٠.

(٢) الطوسي، الاستبصار، ج٢، ص١٤٥.، المحقق الحلي، المختصر النافع، ج١، ص١٨.

(٣) النووي، المجموع في شرح المهذب، ج١،ص٤٥–٤٧.

(٤) ابن رشد المالكي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج١، ص١٠٢–١٠٤.

(٥) الشافعي، الأم، ج١، ص٨٩–٩١.

(٦) ابن قدامة، المغني، ج١، ص٥٨–٦٠.

التيسير لا يتعارض مع صحة الطهارة وشرطها، ويعد هذا التوافق مثالًا واضحا على مرونة الإسلام ورحمته في التعامل مع الحالات الاستثنائية، بحيث يجمع بين الالتزام بأحكام العبادة والقدرة الواقعية للمكلف.

ويؤكد الحديث النبوي الشريف مبدأ التيسير في الصلاة لذوي الأعذار، قد ورد عن النبي(□) أنه ما أمر بمريض أو معاق أن يقصر في الصلاة إلا بما يقدر عليه(١).

كما أولى النبي محمد(□) اهتماماً بالغاً بذوي الاحتياجات الخاصة في إطار أدائهم للعبادات، فجاءت توجيهاته نابعة من رحمة واسعة وحرص على التيسير، مراعيةً تفاوت قدرات الناس البدنية، فقد شدّد(□) على الأئمة الذين يؤمون الناس في الصلاة ألّا يطيلوا، تعظيما لحقوق الضعفاء، فقال: "**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة**"(٢)، وهذا الحديث يُبرز البعد الإنساني في العبادة، حيث لا يُغفل الجانب الجسدي والنفسي للمصلين من ذوي الاحتياجات الخاصة.

كما سُئل(□)عن كيفية الصلاة لمن لا يستطيع القيام، فجاء جوابه بوضع قاعدة تيسر على كل ذي عذر، فقال لعمران بن حصين(٣)، وكان مصابا بمرض مزمن:"**صلِّ قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب**"(٤)، وهذا النصّ الشريف لا يمثل فتوى فحسب، بل يعكس تشريعا دائما في التخفيف عن أصحاب العاهات.

وتُجسِّد رواية عِتبان بن مالك(٥) مبدأ التيسير في العبادة الذي قرّره الإسلام وجعله أصلًا من أصول التشريع، ولا سيّما عند وجود العذر، فقد راعى النبي (□) حالة عِتبان الصحية وضعف بصره، إضافة إلى المشقة التي يسببها سيلان الوادي وقت الأمطار، فلم يُلزمه بالمشقة أو يُكلّفه ما يعجز عنه فقد ورد أنه قال للنبي(□) : "**يا**

---

(١) الطوسي، الاستبصار، ج٢، ص١٥٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص١٧١.

(٣) عِمْرَان بن حُصَيْن بن عبيد بن خلف الخُزَاعِي، أبو نُجَيْد البَصْرِيّ، من كبار الصحابة، أسلم هو وأبوه في عام خيبر، وشهد مع رسول الله □ عدة مشاهد، منها فتح مكة، وكان من علماء الصحابة وفقهائهم، وأكثرهم رواية للحديث، تولّى قضاء البصرة زمن عمر بن الخطاب، وأُعجِب به الصحابة لجلالته وزهده وفقهه، عُرف بعِلْمِه وزُهْده، وكان من أصحاب الورع والعبادة، حتى قيل إنه ما رفعت له راية في قتال الفتنة، بل اعتزل الناس لما وقع الخلاف، وقال قولته المشهورة: "عليكم بالسواد الأعظم"، ابتُلي في أواخر حياته بمرض البواسير الشديد، فكان يُمْرَضُ مَرَضًا يُقْعِدُه عن الصلاة قائما، فكان يُصلّي مضطجعا،وقد أقرَّه النبي(□)على ذلك، فصار من أدلة جواز الصلاة على الهيئة التي يقدر عليها المريض، وقد مات بالبصرة في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ، وقيل سنة ٥٣هـ.ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧-٢٠؛ابن حجر،الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص ٦٠٣-٦٠٥؛الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج٣، ص٢٨٥-٢٨٨.

(٤)البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص٤٨.

(٥) عتبان بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أحد صحابة النبي محمد □ من بني عبد الأشهل من الخزرج في المدينة المنورة. كان من السابقين إلى الإسلام، وشارك في العديد من الغزوات، من أبرزهم غزوة بدر وأحد، عرف بعزيمته وشجاعته، وكان ذا مكانة مرموقة بين الصحابة، وعاش حياته ملتزماً بالدين ومشاركاً في بناء المجتمع الإسلامي الأول، توفي في المدينة المنورة بعد حياة حافلة بالجهاد والخدمة للدعوة الإسلامية.ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٢-١٤؛ابن حجر،الإصابة في تمييز الصحابة،ج٣، ص ٢٦٤-٢٦٦؛ الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج ٢،ص ١٧٢-١٧٥.

رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، فلم أستطع أن آتي مسجدهم، فأحببت يا رسول الله أن تأتي فتصلي في بيتي، فأتخذه مصلى" فأستجاب لطلبه وجاء إلى بيته وصلّى فيه[١]،وهذا تأكيدًا على أن العبادة قائمة على رفع الحرج لا على تعظيم المشقة.

يُستفاد من هذه النصوص القرآنية والحديثية أن مبدأ التيسير ورفع الحرج عن ذوي الأعذار قد أصبح قاعدة فقهية اعتمدتها المذاهب الإسلامية في أبواب الصلاة، فقد اتفقت هذه المذاهب على أن التكليف مرتبط بالاستطاعة، وأن من عجز عن أداء العبادة على وجهها الكامل فله أن يؤديها بحسب قدرته، دون أن يسقط عنه أصل التكليف، إذ أكد الفقه الجعفري على صحة الصلاة قائما أو جالسا أو مستلقياً بحسب قدرة المصلي، مع مراعاة نوع الإعاقة، مثل حكم صلاة الأبكم أو الأعمى، وتمكينهم من أداء الصلاة على قدر استطاعتهم دون إخلال بأركانها[٢] .

كما اجاز المذهب الحنفي الصلاة قائما أو جالسا أو مستلقيًا بحسب القدرة، مع مراعاة التقدّم أو التأخر في الحركات عند العجز[٣].

كذلك رفع المذهب المالكي الحرج عن المريض أو المعاق، ويجوز أداء الركوع والسجود بحسب القدرة دون إخلال بالصلاة[٤].

وراعى المذهب الشافعي هذا الأمر وعد الصلاة صحيحة مع التيسير، سواء بالجلوس أو الاستلقاء، مع مراعاة إمكانات الشخص[٥].

أما المذهب الحنبلي فقد أقر حق المريض أو المعاق في أداء الصلاة وفق قدرته، مع الالتزام بالركائز الأساسية للصلاة[٦].

يتضح من دراسة المذاهب الفقهية أن الشريعة الإسلامية تولي اهتماماً بالغاً بتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من أداء الصلاة بما يتناسب مع قدراتهم، مع الحفاظ على صحة الصلاة وركائزها، فجميع هذه المذاهب أكدت أن الصلاة صحيحة سواء قام المكلف، أو جلس، أو استلقى بحسب استطاعته، مع مراعاة نوع الإعاقة وظروف المصلي، ويؤكد هذا التوافق أن مبدأ التيسير ورفع الحرج مبدأ أساسي في التشريع الإسلامي، يعكس رحمة الله ومرونته في العبادة، ويضمن تحقيق الفريضة دون تحميل المكلف ما لا يطيق، مما يعكس الحكمة.

يُعدّ سقوط الصوم عن ذوي الاحتياجات الخاصة والعاجزين عجزا دائما من أبرز مظاهر التيسير والرحمة في التشريع الإسلامي، إذ جاءت أحكام الصيام مرتبطة بالقدرة البدنية، فمتى ما انتفت الاستطاعة سقط التكليف،

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص١٦٤.

(٢) الطوسي، الاستبصار، ج٢، ص١٥٠؛ المحقق الحلي، المختصر النافع في فقه الإمامية، ج١، ص٢٠.

(٣) النووي، المجموع شرح المهذب، ج١، ص٥٠–٥٢.

(٤) ابن رشد المالكي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج١، ص١٠٥–١٠٧.

(٥) الشافعي، الأم، ج١، ص٩٢–٩٤.

(٦) ابن قدامة، المغني، ج١، ص٦١–٦٣.

وقد قرر القرآن الكريم هذا الأصل التشريعي بوضوح في قوله تعالى:﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[١]، وجاء في قوله تعالى:﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[٢]، فهاتان الآيتان تُؤسّسان لمبدأ شرعي عظيم، هو أن التكليف مرتبط بالقدرة، وأن المكلّف إذا عجز عجزاً دائما عن الصوم سقط عنه الوجوب، واستُعيض عنه بالفدية عند الإمكان، أو سقطت عنه الفدية أيضا إن لم يستطع، تحقيقًا لمقاصد الشريعة في رفع الحرج والتيسير[٣].

وقد رسّخ النبي محمد (□) هذا المعنى حيث رُخِّص للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة أن يُفطرا ويُطعما مكان كل يوم مسكينا ولا قضاء عليهما[٤]، وهذا الحديث يُبرز القاعدة الفقهية التي جرى عليها العلماء، وهي أن من عجز عن الصوم عجزاً لا يُرجى زواله سقط عنه التكليف بالعبادة، لأنّ المقصود من العبادة هو تحقيق التقوى لا المشقة، وبهذا يظهر الجانب الإنساني في التشريع الإسلامي الذي يراعي قدرات الأفراد واختلاف أحوالهم.

استندت المذاهب الفقهية إلى هذه النصوص في تنظيم حكم الصوم أذ ورد في المذهب الجعفري سقوط التكليف عن المريض أو المعاق العاجز عن الصوم عجزا دائما، مع الفدية عند القدرة[٥].

اما المذهب الحنفي فقد جاء في فقهه أن من لا يستطيع الصوم مطلقا يُعفى عنه، والفدية مستحبّة عند القدرة[٦].

كما جاء في المذهب المالكي ان الشيخ الكبير والمريض المزمن يُفطران ولا قضاء عليهما، والفدية عند الإمكان[٧] .

كذلك أسقط المذهب الشافعي الصوم والقضاء عن العاجز العجز الدائم، مع الفدية عند القدرة[٨]، وتوافق المذهب الحنبلي مع ما جاء عند المذاهب الأخرى، إذ أن العجز الدائم يرفع الصوم والقضاء، مع إخراج الفدية إذا أمكن[٩].

يُعدّ الحج من الفرائض التي راعت الشريعة الإسلامية فيها أحوال المكلفين، ولا سيما ذوي الاحتياجات الخاصة، إذ اشترطت الاستطاعة شرطًا لوجوبه، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[١٠] ،فدلّت الآية على أن من عجز بدنياً أو مالياً سقط عنه التكليف، وقد أكّد النبي(□) هذا المعنى حين قالت امرأة خثعمية: "يا رسول الله، إن أبي أدركته فريضة الله في الحج شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٣) الشافعي، الأم، ج٢، ص٩١؛ الطوسي، الاستبصار، ج٢، ص٩٣–٩٤؛ الكاساني، بدائع الصنائع، ج٢، ص٩٤ .

(٤) أبو داود،سنن أبي داود، ٢٣١٨، ج٢، ص٣٢٣.

(٥) الطوسي، الاستبصار، ج٢، ص٩٣–٩٤؛ المحقق الحلي، الشرائع، ج١، ص١٦٦.

(٦) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٢، ص٩٤–٩٥.

(٧) ابن رشد، بداية المجتهد، ج١، ص٢٨٥–٢٨٧.

(٨) الشافعي، الأم، ج٢، ص٩١–٩٣.

(٩) ابن قدامة، المغني، ج٣، ص١٤٦–١٤٧.

(١٠) سورة آل عمران،الآية: ٩٧.

عنه؟ قال: حجي عنه"[١]، كما حرص النبي محمد(□) على حفظ سلامتهم الجسدية في الأماكن المزدحمة كالطواف، فقد وجّه النبي (□)عمر بن الخطاب بقوله: "يا عمر، إنك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، وإن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله فهلّل وكبّر"[٢]، ويُظهر هذا الحديث جانبا تطبيقيا من رعاية النبي(□) للضعفاء وأصحاب الإعاقات الجسدية، عبر منع إيذائهم حتى في مواضع العبادات، كالطواف بالحجر الأسود، كما يُشير إلى وعي مبكر بمبدأ إتاحة الوصول وعدم التزاحم، الذي يُعدّ أحد أسس دمج ذوي الإعاقات في الحياة الدينية والاجتماعية، دون أن يتعرضوا للأذى أو العزل، بل بتسهيل الظروف المحيطة بهم دون تمييز سلبي.

وقد اتفقت المذاهب الإسلامية على أن العاجز عن الحج بنفسه يسقط عنه الوجوب إن كان عجزه دائمًا، ويجوز له أن يُنيب غيره إن كان لديه مال، تحقيقًا لمبدأ رفع الحرج، ففي الفقه الجعفري، نصّ على أن من لا يقدر على الحج بنفسه وجب عليه أن ينيب من يحج عنه إن كان متمكّنًا ماليًا، وإلا سقط عنه التكليف [٣] وأقر الفقه الحنفي، أن المريض أو الهرِم العاجز عن الركوب يُنيب غيره، فإن لم يستطع سقط عنه الوجوب[٤] أما الفقه الشافعي فقد أجاز الحج عن الغير عند العجز البدني الدائم، وعدّه من أداء الواجب بالبدل[٥]

وذهب الفقه المالكي إلى أن النيابة في الحج مشروعة للعاجز الذي لا يُرجى شفاؤه[٦].

بينما يرى الحنابلة أن العاجز إذا كان عجزا دائما يُنيب من يحج عنه إن استطاع مالياً، وإلا فلا شيء عليه[٧].

تُظهر هذه الآراء الفقهية المتقدمة أن مبدأ الاستطاعة في الحج يمثل قاعدة رعاية شرعية لذوي الإعاقات، إذ جعلت الشريعة التكليف منوطًا بالقدرة، وأقرت بدائل تحفظ المقصد التعبدي دون مشقة أو حرج.

(١) البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص١٥٨.

(٢) أبن حنبل، مسند الأمام أحمد، ج١، ص٣٢١.

(٣) الطوسي ،المبسوط، ج١، ص٣٠٣.

(٤) الكاساني، بدائع الصنائع، ج٢، ص١٢٣.

(٥) الشافعي، الأم، ج٢، ص١١٠.

(٦) ابن رشد، بداية المجتهد، ج١، ص٣٢٦.

(٧) ابن قدامة، المغني، ج٣، ص٢١١.

٢. سبل تجنب الإعاقة :

تُعدّ سبل تجنّب الإعاقة من القضايا التي حثّت عليها الشريعة الإسلامية، إذ لم يقتصر اهتمامها على رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بعد وقوع الإعاقة، بل امتدّ إلى الوقاية منها قبل حدوثها، تحقيقًا لمقاصدها الكبرى في حفظ النفس والعقل والنسل، وقد تجسّد هذا التوجّه من خلال التوعية الصحية، وتحسين بيئة العيش، والعناية بالأمومة والطفولة، بوصفها أسسًا لبناء مجتمع سليم البنية متكامل الأفراد، ويأتي هذا الاهتمام ليُبرز البعد الإنساني العميق في الشريعة الإسلامية، ودعوتها إلى إقامة مجتمع متكافل ينهض بجميع أفراده دون تمييز أو إقصاء.

جاءت التوعية الصحية ضمن منظومة الوقاية التي تُسهم في تجنّب أسباب الإعاقة، إذ تشير الآية الكريمة ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[١] إلى قاعدة شرعية أساسية في حماية النفس من الضرر والإعاقة، فقد القمي[٢] في تفسير هذه الآية بقوله: "أي لا تجرحوا أنفسكم ولا تعرضوها لما يهلككم، سواء بالحرام أو بالمعصية، فإن الهلاك قد يكون بدنيًا أو عقليا" ، موضحا أن مفهوم التهلكة يشمل كل ما يضعف البدن أو العقل، بما في ذلك ما يؤدي إلى ضعف القدرة أو الإعاقة.

وقد ورد أن في ذلك نهي عن إلقاء النفس في محيط الخطر أو الإضرار بالبدن، فمن فعل ذلك فقد خرج عن المقصود الشرعي في حفظ النفس[٣]، ويستفاد من هذا أن الشريعة الإسلامية وضعت حماية النفس والعقل من كل ما يسبب الضعف أو الإعاقة كأحد المقاصد الأساسية، مما يبرّر الاهتمام بالوقاية من مسببات الإعاقة كالإسراف الغذائي، والإهمال الصحي، والتعرض للمخاطر المختلفة.

كما حثّ النبي(□)على النظافة والطهارة ليس كغاية شكلية فحسب، بل كوسيلة لحماية الإنسان من الأمراض والضعف البدني، وهو ما يعدّ من سبل الوقاية من الإعاقة، فقد جاء في حديثه الشريف قوله □:" الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ"[٤]، ويشير هذا الحديث إلى أن الطهارة والنظافة جزء من صيانة البدن، ومنع ما قد يؤدي إلى الأمراض المزمنة أو الضعف الحركي والعقلي، فالمحافظة على الجسد نظيفا وصحيا تُعدّ وقاية شرعية وطبّية من الإعاقة.

وجّه النبي(□) إلى تجنّب مواطن العدوى والأوبئة فقال:" **فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**"[٥]، مشبها بذلك الخطر الصحي بالأسد المفترس، ليُوضح أن الابتعاد عن مصادر العدوى والأمراض أمر ضروري لحماية النفس، ويُستفاد من هذا التوجيه أن الوقاية من الأمراض ليست مجرد سلوك ديني، بل وسيلة عملية لحماية البدن ومنع حدوث الإعاقة أو العجز الدائم الناتج عن الأمراض المعدية أو المضاعفات الصحية.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) القمي، تفسير القمي، ج١، ص١٧٥.

(٣) العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص١٦٢.

(٤) مسلم، صحيح مسلم،ج١، ص٢٢٣.

(٥) البخاري، صحيح البخاري ،ج٧ ،ص١٢٦.

وتدلّ هذه التوجيهات على وعيٍ صحيٍّ مبكرٍ هدفه وقاية الإنسان من مسبّبات المرض والعجز، وبناء بيئةٍ سليمة تحفظ للأفراد توازنهم الجسدي والنفسي، وبذلك تتجلى صورة الشريعة في بعدها الإنساني العميق، ودعوتها إلى مجتمع متكافلٍ معافى ينهض بجميع أفراده.

تشكل بيئة العيش الصحية أحد أهم عوامل الوقاية من الإعاقة، إذ تؤثر نظافة السكن، وجودة الغذاء، والمرافق الصحية، والسلامة العامة على القدرة البدنية والعقلية للفرد، وقد أولت الشريعة الإسلامية اهتماما بالغًا بهذه الجوانب، من خلال توجيهاتها إلى الاعتناء بالنظافة، والحفاظ على المياه، وتوفير الغذاء الصحي، والابتعاد عن المخاطر البيئية، وقد جاء في السنة النبوية توجيه صريح نحو تحسين البيئة العامة والنظافة الشخصية، فقد قال النبي(□):" **نَظِّفُوا السُبُلَ وَالأسواقَ وَمساكنَكم، فالنظافةُ من الإيمان**"[١]، يشير هذا الحديث إلى أن المحافظة على نظافة الأماكن العامة والسكنية جزء من حماية الإنسان وصحته، مما يقلل من خطر الأمراض والإعاقات الناتجة عن سوء البيئة، ويؤكد هذا التوجيه أن تحسين بيئة العيش ليس مجرد رفاهية، بل جزء من حفظ النفس والعقل، وهو مقصد أساسي للشريعة الإسلامية، ويتوافق مع نتائج الدراسات الطبية الحديثة التي تثبت دور البيئة الصحية في الوقاية من الإعاقة والأمراض المزمنة.

ومن سبل تجنب الإعاقة والحفاظ على صحة الفرد وذريته، فقد حرم شرب المسكرات؛ لما لها من تأثير سلبي على العقل والجسم، ولحماية النسل من التشوهات والأمراض، كما جاء في قوله تعالى:**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[٢].

إذ أظهرت الدراسات العلمية أن التعرض للكحول، خصوصا أثناء الحمل، يؤدي إلى اضطرابات تنموية والتي تشمل تخلفا عقلياً، صعوبات تعلم وسلوك، تشوهات خلقية، ومشكلات في النمو العصبي لدى الأطفال، كما وتشير الأبحاث إلى أن الكحول يتغلغل في خلايا الجسم ويؤثر على النطفة والجينات المسؤولة عن نمو الدماغ، مما يسبب تأثيرات طويلة الأمد على الصحة العقلية والجسدية للنسل[٣].

ومن أبرز سبل الوقاية من الإعاقة والأمراض التي دعا إليها الإسلام، الابتعاد عن العلاقات غير المشروعة التي تؤدي إلى أضرار صحية واجتماعية، كما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾[٤]، إذ يظهر بوضوح أن هذا التوجيه يحمل بعدا وقائيا صحيا واجتماعيا يحمي الفرد والمجتمع من الأمراض والمضاعفات الخطيرة، إذ أن تحريم العلاقات غير الشرعية في الإسلام ليس مجرد توجيه أخلاقي فحسب، بل يحمل بعداً صحياً واجتماعياً، باعتباره وسيلة فعالة للوقاية من الأمراض المعدية والجنسية التي قد تؤدي إلى إعاقات أو مشكلات صحية[٥].

---

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه،ج١، ص٢١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٣) ينظر: الشرقاوي، الكحول وتشوهات الجنين،ص٢٢١-٢٢٤؛ فاضل، أثير الكحول على النطفة والجينات، ص٣٤٢-٣٤٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية:٣٢.

(٥) محمود، الآنحرافات وآثارها،ص٦١٤.

وقد جاء النهي القرآني مؤكداً لأهمية الوقاية الصحية، إذ تشير النصوص النبوية إلى أن الفاحشة تؤدي إلى انتشار الأمراض والمخاطر في المجتمع، فعن رسول الله (□): "**لم تَظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم**"[١]

ويُفهم من ذلك أن الالتزام بتعاليم الإسلام في ضبط السلوكيات الجنسية والاجتماعية يشكل وسيلة وقائية من الأمراض التي قد تؤدي إلى ضعف الجهاز المناعي أو الإعاقات الصحية[٢]، ويظهر حرص الشريعة على حماية الفرد والأسرة والمجتمع من المخاطر الجسدية والاجتماعية على حد سواء.

حرص الإسلام على سلامة النسل الإنساني ووقايته من أسباب الإعاقة الوراثية أو المكتسبة، فاعتنى بالإنسان قبل أن يُولد، بدءًا من اختيار الزوجين، مرورا بمرحلة الزواج والجماع والحمل والرضاعة، وجعلت حفظ النسل إحدى الضرورات الخمس التي جاءت لصيانة مصالح الإنسان في الدين والنفس والعقل والنسل والمال[٣]

لقد جاءت التوجيهات النبوية واضحة في الدعوة إلى انتقاء الأزواج الأكفاء لما لذلك من أثرٍ مباشر في تكوين نسلٍ سليم بدنيا ونفسيا وأخلاقيا، قال رسول الله(□):" **تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِم**"[٤]، فعبارة "تخيروا لنطفكم" تعني التثبت في اختيار من يُنجب الإنسان منه نسله[٥]، ولفظ "الأكفاء" يشير إلى التكافؤ في الدين والأخلاق والنسب، ويُفهم منه أيضًا التكافؤ الصحي والوراثي، أي ضرورة مراعاة الصفات الوراثية والسلوكيات الأسرية[٦].

يُعدّ قول النبي(□):"**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ**"[٧]، من الأحاديث النبوية ذات الدلالات العميقة في مجال الوقاية الوراثية، إذ يؤكد على أهمية تحري الأصل السليم عند الزواج لما لذلك من أثر مباشر في تكوين الذرية وصحتها الجسدية والنفسية، وقد فسر هذا الحديث بأن المراد بـ"العرق" هو الأصل والنَّسب، و"دسّاس" أي خفيّ الأثر ولكنه يظهر في الصفات البدنية والأخلاقية والسلوكية للذرية يقول المناوي[٨]:" العرق دساس، أي أن الأصل يظهر أثره في الفروع، فاحذروا خطأ المنبت، لأن الصفات تتوارث كما يتوارث الشبه في الصورة"، كما ورد أن المقصود بذلك هي الصفات الخُلقية والطباعية تنتقل من الأصل إلى الفرع[٩]، كما أشار ابن القيم[١٠] إلى أن الحديث يمثل أصلاً في الطب الوقائي الإسلامي، بقوله:" وفيه تنبيه على أن فساد الأصل يفسد الفرع، وأن

(١) ابن ماجه، سنن أبن ماجة، ج٢، ١٣٣٢.

(٢) باسكويل، معجم مصطلحات اعاقه النمو، ص.٣٢.

(٣) الشافعي، الرسالة، ص ٢٠؛ الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج١، ص ١٧٤.

(٤) ابن ماجه، سنن أبن ماجة، ج١، ص ٦٣٣، ح١٩٦٨؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص ٢٨٣.

(٥) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٤، ص ١٧١.

(٦) النووي، روضة الطالبين، ج٧، ص ٦٧.

(٧) البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٨٢؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٦، ص٣١٢.

(٨) فيض القدير، ج٤، ص٤٥١.

(٩) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج٤، ص١٧١.

(١٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٤، ص١٣٠.

العرق دساس في الطباع والخلقة، فحسن الاختيار في المنبت أصل في صلاح الذرية"، ومن ثمّ فإن هذا التوجيه النبوي يُعدّ مبدأً وقائيا متقدما، يُسهم في الحد من انتقال الأمراض الوراثية والعيوب الخِلقية، ويؤكد أن الإسلام سبق في الدعوة إلى الفحص الوراثي الأخلاقي والبيئي من خلال اختيار الزوجين على أسس سليمة تحفظ سلامة النسل واستقرار المجتمع.

ومن خلال هذه التوجيهات، يتبين أن رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في الإسلام تبدأ قبل ولادتهم، وذلك عبر الوقاية من مسببات الإعاقة، من خلال حسن الاختيار والوعي الأسري والالتزام بأحكام الشريعة في تكوين الأسرة.

كما أولى الإسلام عنايةً خاصة بمسألة الزواج واختيار الشريك لما لها من أثر مباشر في سلامة النسل وتكوينه، فحثّ على مراعاة التكافؤ في الدين والخلق والأصل، وحذّر من العوامل التي تؤدي إلى ضعف النسل أو انتقال الأمراض الوراثية، ومن مظاهر ذلك كراهة زواج الأقارب المتكرر إذا انغلقت الأسرة أو القبيلة على نفسها ولم تتزوج من غيرها، إذ يؤدي هذا إلى تزايد احتمالية انتقال العيوب الوراثية، وهو ما يتفق مع ما أثبته العلم الحديث من مخاطر زواج الأقارب على الصحة الوراثية للأبناء، ولهذا شجّع الإسلام على الزواج من الغريبات، تحقيقًا للتوازن الوراثي والاجتماعي.

ورد عن النبي(□) قوله:"**ابعدوا في النكاح ولا تضووا**"[١]، وقوله أيضاً:"**لا تنكحوا القرابة القريبة فإنّ الولد يُخلق ضاويا**"[٢]، ومعنى لا تُضووا أي لا تأتوا بأولاد ضعفاء، والضوي هو الضعيف[٣]، كما فُسّرت عبارة "لا تضووا" بأنها دعوة لتجنب إنجاب أولاد ضعفاء أو نحيفين نتيجة التزاوج بين الأقارب[٤].

كما ورد استحباب التغريب في النكاح لحماية صحة النسل[٥].

ويتوافق هذا التوجيه مع العلم الحديث الذي يوضح أن الزواج بين الأقارب يزيد من احتمالية انتقال الجينات المرضية؛ فإذا كان الأبوان حاملين لجين ناقص، فإن احتمالات الولد تكون: سليم ٢٥%، ناقل للجين ٥٠%، ومعيب كامل ٢٥%، وتزداد هذه الاحتمالات في الأجيال اللاحقة، ما يؤدي إلى ارتفاع معدل الأمراض الوراثية[٦].

وبالتالي، يظهر أن الإسلام لا يقتصر في توجيهه على الجانب الأخلاقي والديني فحسب، بل يشمل البعد الصحي والوراثي، حيث يحث على الابتعاد عن الزواج المتكرر من الأقارب، واستحباب الزواج من الغرائب لضمان نسل سليم ومعافى.

---

(١) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ٩٢.

(٢) الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء، ج٣، ص٩٤.

(٣) أبن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٧٤.

(٤) أبن العربي، المسالك في شرح موطأ مالك ، ج٧، ص١٥.

(٥) الذهبي، التذكرة الحفاظ،ج٢ ،ص٥٦٩.

(٦) لعَمّارة، زواج الأقارب وعلاقته بالأمراض الوراثية،ص٤٩٠□٤٩٨.

وفي إطار حفظ النفس والنسل ووقاية الأطفال من الأمراض والإعاقات، أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً خاصاً بتنظيم الحياة الزوجية بما يحقق مقاصدها الشرعية ويقي من المخاطر الصحية، ومن أبرز تلك الأحكام ما ورد بشأن فترة الحيض وما يرتبط بها من ضوابط العلاقة الزوجية بين الزوجين، إذ جاءت النصوص الشرعية لتُبيّن آداب التعامل مع الزوجة الحائض وتنظيم جماع الزوجين، بما يساهم في حماية الأم وصحة الجنين والطفل، ويقلّل من احتمال حدوث الإعاقات أو الأمراض الناتجة عن تجاوز هذه الضوابط، وفي هذا السياق، يُستعرض حكم الجماع أثناء الحيض وفق القرآن الكريم والسنة النبوية، مع بيان الحكمة الطبية والشرعية من التشريع، قال تعالى:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ، وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾[١].

وقد فسّر المفسّرين أنّ الأمر بالاعتزال يعني الامتناع عن الجماع في فترة الحيض، حتى الطهر والاغتسال[٢].

كما جاءت التوجيهات النبوية لتبيّن الضوابط الشرعية التي تحفظ صحة المرأة والرجل معا، وتمنع ما قد يسببه الجماع في أوقات المنع من أضرار جسدية أو نفسية أو وراثية، ومن ذلك ما ورد في الحديث الشريف: قال النبي(□):" **إذا حاضت المرأة فاجتنبوها ولا تقربوها حتى تطهر**"[٣]، وهو توجيه نبوي صريح بالامتناع عن الجماع في فترة الحيض حتى ينتهي الدم وتغتسل المرأة، حفاظا على طهارتها الجسدية وسلامتها الصحية.

وقد أيدت الدراسات الطبية الحديثة هذا التوجيه النبوي، إذ أشارت أحدى الدراسات الطبية إلى أن الجماع في فترة الحيض يزيد من احتمال انتقال العدوى البكتيرية والفيروسية، ويؤدي إلى التهابات، مما قد يسبب مشكلات في الخصوبة أو عقما ثانويا[٤].

ومن خلال ذلك يمكن الاستنتاج أنَّ الشريعة الإسلامية حين نهت عن الجماع في فترة الحيض، لم يكن مقصدها التعبدي فحسب، بل جاءت توجيهاتها حفاظًا على الصحة الإنجابية والوقاية من الأسباب المؤدية إلى العقم أو الإعاقة الناتجة عن العدوى أو الالتهابات، وبذلك يظهر البعد الوقائي في التشريع الإسلامي الذي يسهم في الحدّ من حالات الإعاقة الناتجة عن الأمراض أو ضعف الخصوبة، تحقيقًا لمقصد حفظ النسل وصيانة الإنسان من أسباب الضرر والعجز.

جاءت التوجيهات النبوية لتؤكد على أهمية الوقاية من أسباب الإعاقة قبل وقوعها، ومن ذلك ما ورد في النهي عن الجماع في منتصف الشهر القمري، لما قد يترتب عليه من آثار سلبية على صحة الجنين وسلامة النسل، فقد روى أن النبي(□) قال: "**تزوجوا ولا تغالوا في الصداق، وجامعوا في أول الشهر وأوسطه وآخره، ولا تجامعوا في أول الهلال ولا في نصفه ولا في آخره**"[٥].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،ص٣٥؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٢٤٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص ٨٤ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٢٤٥.

(٤)عبد السلام، الأمراض المنقولة جنسيا ومخاطر العلاقة أثناء الحيض، ص٢١٤.

(٥) أبن ماجه، سنن أبن ماجه، ج١، ص٦١٣.

وقد ذُكر أن هذا النهي ليس على سبيل التحريم، بل من باب الإرشاد الوقائي الذي يهدف إلى تنظيم العلاقة الزوجية في أوقات تكون فيها الحالة البدنية والنفسية أكثر استقرارا، حفاظا على جودة النسل وصحة الجنين؛ إذ أشار ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) إلى أن النهي عن الجماع في بعض الأوقات إنما هو من قبيل التوجيه إلى ما هو أنفع للبدن والولد وأبعد عن الضرر، لا من قبيل التحريم، فقال: " وقد ورد في ذلك أحاديث يُستأنس بها على أن لبعض الأوقات تأثيراً في صلاح الولد أو فساده، وهو من باب التجارب والعادات لا من الأحكام التعبدية"[١].

تُعدّ مرحلتا الحمل والرضاعة من أهم المراحل التي اعتنت بها الشريعة الإسلامية عناية بالغة، لما لهما من أثر مباشر في تكوين الجنين ونموّه السليم، ومن ثمّ في الوقاية من الإعاقة أو الأمراض الخَلقية والوظيفية، فقد جاءت النصوص الشرعية موجِّهةً إلى مراعاة صحة الأم والولد في هاتين المرحلتين، تحقيقًا لمقصد حفظ النفس والنسل.

ففي مرحلة الحمل، أمر الإسلام بالعناية بالغذاء، والابتعاد عن كل ما يضر الجنين من أطعمة أو عادات ضارة، كالتدخين أو تناول المسكرات أو التعرض للتوتر، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾[٢]، جاءت هذه الآية الكريمة لتلفت الأنظار إلى عِظَم ما تتحمله الأم من مشقة الحمل والوضع، ولتُبرز ما تبذله من تضحية في سبيل حفظ النسل واستمرار الحياة، فالحمل هنا مقرون بالعناء والتعب الجسدي والنفسي، مما يوجب على المجتمع والأسرة أن يوفّرا لها الرعاية اللازمة حتى تؤدي وظيفتها على الوجه الأكمل.

وقد ورد في تفسير هذه الآية ان المراد بـ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾ أي بمشقة وتعب وألم، وذكر أن في ذلك تذكيرا للولد بحق أمه عليه، وتنبيهًا على وجوب الإحسان إليها لما لاقته من العناء في حمله ووضعه ورعايته[٣].

وقد ورد أن هذه الآية تدلّ على ضرورة رعاية الأم والعناية بصحتها أثناء الحمل، لأنها تمرّ بحالة ضعف شديدة تستوجب الدعم المادي والمعنوي، وهذا تنبيه على ما يلحقها من المشقة في حال الحمل والوضع، فاقتضى ذلك الإحسان إليها وصيانتها"[٤] .

ومن هذا المعنى يُستفاد البعد الوقائي في الشريعة الإسلامية تجاه الإعاقة، إذ إن رعاية الأم الحامل والاهتمام بصحتها الجسدية والنفسية يُعدّ من أهم سبل تجنّب الإعاقات الخَلقية والولادية التي قد تصيب الجنين نتيجة الإهمال أو سوء التغذية أو التعرض للأمراض. فالتوجيه القرآني هنا لا يقتصر على البعد التعبّدي أو الأخلاقي،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٤، ص٢٦٧.

(٢) سورة الحقاف، الآية: ١٥.

(٣) أبن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٦٢.

(٤) القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص١٦٨.

بل يمتد ليشمل الجانب الصحي والاجتماعي الوقائي، الذي ينسجم مع مقاصد الإسلام في حفظ النفس والنسل وصيانة الجسد من العجز والضرر.

أما في مرحلة الرضاعة، فقد جاء التوجيه النبوي والقرآني صريحا بوجوب إرضاع المولود حولين كاملين، لما في ذلك من بناء جسدي ومناعي وعقلي متكامل، قال تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾(١).

وقد ورد ان هذه الحكمة الوقائية مفادها:" وفي الرضاع تمام الغذاء والنماء، وصلاح المزاج والعقل، وهو من تمام حفظ النفس والنسل"(٢).

كما أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن سوء تغذية الأم أثناء الحمل والرضاعة أو التعرض للمواد السامة يزيد من خطر الإعاقات الخَلقية والعقلية لدى الأطفال(٣).

وبذلك يتضح أن التوجيهات الإسلامية في مرحلتي الحمل والرضاعة تحمل بعدا وقائيا عميقا، إذ تسهم في منع كثير من الأسباب المؤدية إلى الإعاقة، من خلال رعاية الأم والطفل صحيا ونفسيا وغذائيا، تحقيقا لمقصد الشريعة في صيانة الإنسان من العجز والضرر وحفظ النسل من الاختلال.

(١) سورة البقرة، الآية:٢٣٣.

(٢) ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٤، ص٤٧.

(٣) منظمة الصحة العالمية، التقارير الصحية السنوية، جنيف، ص١١٢، ٢٠١٩م.